رسالتان في أهل الذمة

الرسالة الأولى
مصباح الأرواح في أصول الفلاح

للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الجزائري
المتوفى سنة ٩٠٩ هـ

الرسالة الثانية
الإعلام بما أغفله الأعوام

للشيخ أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن عبد الجليل
ابن عظوم القيرواني التونسي
كان حياً سنة ١٠٠٩ هـ

دراسة وتحقيق
الأستاذ عبد المجيد الخيالي
خريج دار الحديث الحسنية بالرباط

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



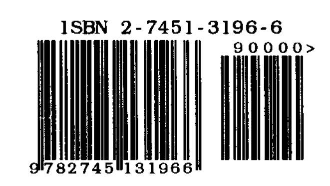
الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3196-6



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

رسالتان في آهل الذمة

ـ الأولى: للشيخ محمد بن الكريم المغيلي التلمساني الجزائري المتوفى سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. المسماة: بمصباح الأرواح في أصول الفلاح

ـ الثانية: لمحمد مرزوق الملقب بابن عظوم القيرواني التونسي كان حياً سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م. المسماة: الإعلام بما أغفله الأعوام.

دراسة وتحقيق الأستاذ: عبد المجيد خيالي خريج دار الحديث الحسنية بالرباط

مقدمة التحقيق

لقد جرى عند العامة والخاصة، في العرف الإسلامي: على إطلاق مصطلح **«أهل الذمة»** على كل مواطن غير مسلم داخل الدولة الإسلامية وتعريف الذمة في اللغة هو: «العهد والأمان». وَعَرَّفَ ابن قيم الجوزية في كتابه أحكام أهل الذمة قوله: «الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد. وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان. وقد عقد الفقهاء لكل صنف باب فقالوا: باب الهُدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة. ولفظ: «الذمة والعهد»: يتناول هؤلاء كُلّهم في الأَصْلِ، وكذلك لفظ الصلح، فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد... لكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أن أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية[1] هـ. وإذا تم عقد الذمة يترتب حفظُ أموالهم وصيانةُ أعراضهم وَحُرْمَةُ قتالهم والكف عن أذاهُم. لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]» وتوالت وصايا الرسول عليه السلام بأهل الذمة بالإحسان إليهم. وعدم ظلمهم وسلب حقوقهم لقوله ﷺ: «أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً. أو انْتَقَصَهُ اوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَته، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شيئاً بغير طيبِ نَفْسٍ، فَأَنَ حَجيجُهُ يوم القيامة»[3].

وقوله ﷺ: «... وأن الله تعالى لم يُحِلَّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذنٍ وَلاَ ضَرْبَ نسائِهِمْ ولا أكل ثِمَارِهِم إذا أَعْطُوكُمْ الذي عَلَيْهِمْ»[4].

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية: ٢/ ٤٧٥. دار العلم للملايين ط٢ سنة ١٩٨٢.

(٢) الممتحنة، آية: (٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه من كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات حديث (٣٠٥٢).

(٤) نفس المرجع السابق حديث (٣٠٥٠).

وكان ﷺ: أول من طبق عملياً قواعد نظام أهل الذمة على اليهود والنصارى في الحجاز. ثم على مجوس البحرين حين قال: «سَنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ»[١]. وفي رواية أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مِصْرَ وهي أرضٌ يُسَمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذِمَّةً وَرَحِماً». أو قال: «ذِمَّةً وَصِهْراً، فإذا رأيت رَجُلَيْنِ يختصمان فيها في موضع لَبِنَةٍ فاخرج منها»[٢].

وفي ظل هذه الحجج النقلية، سار الرعيلُ الأولُ من الصحابة رضوان الله عليهم وولاةُ الأمور. فعاملوا أهل الذمة معاملة حسنة يعجز عن القيام بها أي نظام بشري مهما بلغ من التحضر والرقي.

وأكثر من ذلك فقد تَكَفَّلَ الولاة بالإنفاق عليهم عند فقرهم وعجزهم المالي. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنفق عليهم من بيت مال المسلمين. لأن الإسلام ليس غايته هو القهر عند الانتصار. بل الرحمة والسؤدد والعفو. يعيش في ظله الضعيف والقوي. والغني والفقير والمسلم والكتابي كلهم سواء. ما لم يكن هناك مساس بالدين.

ومما جاء عنه رضي الله تعالى عنه: أنه مَرَّ بباب قوم وعليه سائل ضرير بلغ من الكبر عِتياً. فضرب عَضُده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: اسأل الجزية والحاجة والسن. قال فأخذ عمر بيده. وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وَضُرَبَاءَهُ. فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شَبِيبَتَهُ ثم نَخْذُلُه عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾[٣] الآية. والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب. ووضع الجزية عنه وعن ضُرَبَائِهِ[٤].

---

(١) الحديث أخرجه مالك في موطئه من كتاب الزكاة باب جزية أهل الكتاب والمجوس حديث (٤٣) ص: ٢٦٤. مطبعة فضالة المحمدية المغرب.

(٢) مسند أحمد أحمد حديث (١٥٧٦/ ٢). ٥/ ٢٠٧ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣/ ط١.

(٣) سورة التوبة، آية: (٦٠).

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف. ص: ١٢.

ومن إيثار هذا الخليفةِ العظيم: أنه طُعِنَ بطعنة رجل من أهل الذمة يدعى: أبو لؤلؤة المجوسي - ولم تحمله هذه الطعنة بالحقد عليهم بل أوصى الخليفة من بعده وهو على فراش الموت، فيقول: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ، أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم. وَلاَ يُكَلَّفُواْ فوق طاقتهم»(١).

فديننا الإسلامي دين رحمةٍ. ودينُ عهدٍ لقوله تعالى: ﴿. . . وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾(٢). والوفاء بالعهد ملازمٌ لصفة الإيمان لقوله ﷺ: «إن حسن العهد من الإيمان»(٣).

ولما خرج المسلمون يبلغون رسالة الله تعالى، كانوا يقولون قولاً صادقاً سجله التاريخ تواتراً: «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لِيُخْرِجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا، إلى سَعتها، ومن جُورِ الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خَلْقِهِ لندعوَهم إليه، فمن قبل مِنَّا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يَلِيهَا دُونَنَا. ومن أبى قاتلناه أبداً؛ حتى نُفْضِيَ إلى موعود الله»(٤). إذاً فالغاية المرسومة هو تبليغ الدين، وفرضُ تطبيقه على الأمم، فإن امتنعوا أُلزِمُواْ بأداء الجزية، وإلا فالحربُ سِجَالٌ بيننا وبينهم لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(٥). صدق الله العظيم.

والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية يرى أنهم كانوا أحرص على السماحة مع الذميين، فالإسلام لم يمنعهم من العمل في إدارة الدولة وإسناد الوظائف إليهم، فقد أجاز الفقهاء لِلذِّمِيِّ أن يتقلد وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض(٦).

---

(١) إرشاد الساري لشرح البخاري: ٥/ ١٦٢.
(٢) سورة الإسراء، آية: (٣٤).
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها.
(٤) تاريخ الطبري: ٢/ ٤٠١ دار الكتب العلمية ط٢ سنة ١٩٨٨.
(٥) سورة التوبة، آية: (٢٩).
(٦) الأحكام السلطانية للفراء، ص: ١٦.

وعمر بن الخطاب جعل رجال دواوينه من الروم. وجرى على ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه، كما تولى أهل الذمة مناصب كثيرة في عهد الأمويين[١].

إذا كان الإسلام والمسلمون فتحوا للذميين قلوبهم وصدورهم فعاشوا معهم في كنف أسروي واحد، يملأه: الإخاء، وحسن المعاملة. فهم عكس ذلك، فإذا ما تتبعنا تاريخ العلاقات ما بين دول الصليب وغيرهم وشعوب الإسلام نجد هناك حقداً مريراً يملأ قلب النصارى واليهود، فلما أسندت الأمورُ إليهم وانتصرت جيوشهم. هدموا المساجد، وحولوها إلى كنائس وبيع. وأحرقت مكتبات المسلمين، وَذَبَّحَتْهُمْ واستحيت نساءهم...[٢] وهلّم جَرًّا من أعمال وحشية يعجز القلم عن رسمها. فعندما سقطت الأندلس في يد العدو أول ما فتح به حكمه هو تحريم الإسلام على المسلمين. وفرض عليهم تَرْكَهُ كما حرّم عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرَّقُ حَيًّا بعد أن يعذب أشد العذاب[٣]. في حين أن العدو لما كانت شوكة الإسلام قائمة، كانوا يعيشون في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين الذين يقال لهم: «الوزيجو».

ويقول دوزي العالم الكبير: «إن هذا الفتح لم يكن ضاراً بإسبانيا، وما حدث من الهرج والمرج بعده، لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة المطلقة الإسلامية في تلك البلاد، وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضائهم، وقلدوهم بعض الوظائف، حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء، كثير منهم تولى قيادة الجيوش. وقد تولد من هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية إلى المسلمين، وحصل بينهم تزاوج كثير»[٤].

---

(١) راجع كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي، ص: ٢٦٢.
(٢) راجع في هذا كتاب: قادة الغرب يقولون: دَمِّرُوا الإسلام أبيدوا أهله. لجلال العالم.
(٣) دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ص: ١٢.
(٤) الإسلام دين الهداية والإصلاح، لمحمد فريد وجدي ص: ١٦٨، ١٦٩. سلسلة كتاب الهلال العدد: ١٤٠ شهر نوفمبر سنة ١٩٦٢.

وما يمكن قوله أن الإسلام جاء بأصول أرقى مما كانت عليه الأديان التي تقدمته سواء في السياسة أو في غيرها.

وإذا ما عرضنا صور التسامح الديني عند المسلمين خاصة في العصر الأموي فإننا نجد من ذلك الكثير.

ـ وأقول: إذا كان صاحب كتاب مصباح الأرواح محمد بن عبد الكريم ابن المغيلي. وصاحب كتاب الإعلام بما أغفله الأعوام: أبو القاسم بن محمد مرزوق الملقب بابن عظوم. قد حملا على الذميين، ذلك لما عاينوه وسمعوه من اضطهاد الكفار للمسلمين وخاصة اليهود الذين يكنون العداء منذ نزول الرسالة على سيدنا محمد ﷺ. وبالفعل إذا تتبعنا أفعالهم الذميمة في كتب السير والتاريخ، وأكثر من ذلك في القرآن الكريم وتفاسيره. فعندما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب استقبلوه بحسن الاستقبال، فَوَثَّقَ صلاته بهم، وتقرب من كبارهم. وعقد معهم معاهدة صداقة ومودة... والهدف من هذه المعاهدة هو جمع شمل المهاجرين والأنصار مع اليهود في مواجهة المشركين... لكن ما لبث اليهود أن أخذوا يثيرون الفتن بين الأوس والخزرج، ويدسون للمسلمين. حتى قال الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[1]. وتتبع اليهود رسول الله بالأسئلة ليحرجوه، وطلبوا إليه كتاباً من السماء: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[2]. ولما كان فشلهم في إثارة الفتنة لا يزيدهم إلا عناداً وكفراً، فلبس بعضهم ثوب الإسلام، ليطعنوا الإسلام باسم المسلمين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[3].

ولما حدثت موقعة بدر، لم يشتركوا مع الرسول تطبيقاً لنصوص المعاهدة، وأشاعوا هزيمة المسلمين وَقَتْلِ الرسول ﷺ. كذا لم يشتركوا في

---

(١) سورة آل عمران، آية: (١٠٠).
(٢) سورة النساء، آية: (١٥٣).
(٣) سورة البقرة، آية: (١٤).

موقعة أحد، بقصد تخذيل المسلمين، وزادوا من مكرهم عندما دبر يهود بني النضير كميناً لأربعين مسلماً ذهبوا يعلمون أمور الدين لقبائل نجدية فَقُتِلُوا عن آخرهم. ما عدا رجلاً أخبر بما حدث، فذهب إليهم رسول الله ﷺ ليتحدث لهم عما جرى، فكادوا يقتلوه بصخرة تلقى من فوق جدار، فما كان من الرسول إلا أن أنذرهم بالخروج قبل عشرة أيام، فمن بقي ضرب عنقه، لكن المنافقين أغروهم بالبقاء، ووعدوهم بالقتال إلى جانبهم فحاصرهم الرسول ﷺ حتى استسلموا، وتم جلاؤهم، فريق إلى خيبر، وفريق إلى الشام، ومثل هذا كثير وكثيرٌ جداً تفردت به كتب خاصة تتحدث عن مكر اليهود وخداعهم، ومكرهم للمسلمين(١).

كتبه

د: عبد المجيد خيالي



(١) عن مكر اليهود وسوء نيتهم ودسائسهم راجع الكتب التالية:
- الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون: لمحمد خليفة التونسي.
- اليهود تاريخاً وعقيدة للدكتور كامل سعفان. مجلة كتاب الهلال عدد: ٣٦٤ ابريل: ١٩٨١.
- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: لعبد الله التل.
- عاجلاً أو آجلاً ستزول إسرائيل بقلم ١٢ كاتباً فرنسياً ترجمة ريمون نشاطي.

ترجمة المؤلف(1)

هــو:

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، أبو عبد الله التلمساني خاتمة المحققين: التواتي نزيل تركت، الإمام العالم العلامة الفهامة النّحرير ذو الخوارق المتواترة، والحقائق المتوافرة القدوة الصالح السني. أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم. ولد بتلمسان الجزائر ونشأ بها، ثم رحل منها بعد حفظ القرآن إلى بجاية. وتبحر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي. وبعد بلوغه النهاية في العلم رحل إلى توات وهي يومئذٍ دار علم وإسلام. واستقر بها وولد له أولاد، ثم رحل مع الشيخ سيدي العزيمي.

أخــلاقــه:

قال عنه صاحب الرحلة العياشية: رجل دمث الأخلاق، طيب الأعراف(2).

---

(1) انظر ترجمة المؤلف في الكتب التالية:

١ ـ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: ٥/١٠٦ ـ ١١١.

٢ ـ البستان في ذكر علماء تلمسان، ص: ٢٥٣.

٣ ـ درة الحجال لابن القاضي المكناسي: ٢/ ٢٨٥.

٤ ـ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: ص: ١٣٠ ـ ١٣٢.

٥ ـ الرحلة العياشية، ص: ١/ ٤٩، ٥٠.

٦ ـ شجرة النور الزكية: ١/ ٢٧٤.

٧ ـ فهارس علماء المغرب، ص: ٦٢٦.

٨ ـ معجم المطبوعات المغربية، ص: ٣٢٩.

٩ ـ موسوعة أعلام المغرب: ٢/ ٨١٦.

١٠ ـ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني: ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

١١ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: ٥٧٦ ـ ٥٧٩.

(2) الرحلة العياشية: ١/ ٤٩، طبعة حجرية.

وقد ورد اسمه في هذا المصنف ضمن شرح منظومة أبي الفرج والتي مطلعها:

يا سيد الخجل بدر الدّجا حَسْناً وليت الغاب يوم الردى
يدعي أبا العباس يوم الوغا وبأبي بشر بيوم الندا[١]

وعنه قال ابن القاضي المكناسي في كتابه درة الحجال: محمد بن عبد الكريم المغيلي أبو عبد الله الرجل الصالح[٢].

شيوخه:

لقد درس هذا الشيخ رحمه الله وتتلمذ على عدة شيُوخ لم يُوافينا مترجموه إلا بالنزر القليل منهم:

الشيخ أبو زيد الثعالبي، والشيخ السنوسي[٣]، ويحيى بن بدير[٤].

تلاميذه:

وعنه الشيخ عبد الجبار الخجيجي والشيخ العاقب الأنضمني والفقيه أيد أحمد[٥].

علمه:

كان من أكابر العلماء[٦]، خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم[٧]. عالم توات في زمانه[٨]. فصيح اللسان[٩]. وما قيل عن علمه وإدراكه في العلوم الفقهية بشهادة أهل زمانه، يضعه ضمن جهابذة العلماء الذين يرجع لهم الفضل في تجديد الدين والسير به إلى التعليم والتطبيق، قد شد طرفاً من الفقه والنحو وله بعض الخبرة بعلم العروض[١٠].

---

(١) المرجع أعلاه: ٨/ ٥٠.
(٢) درة الحجال: ٢/ ٢٨٥ المجلد الأول.
(٣) شجرة النور الزكية: ١/ ٢٧٤ رقم: ١٠١٧.
(٤) فهارس علماء المغرب، ص: ٦٢٦.
(٥) شجرة النور: ١/ ٢٧٤ ـ نيل الابتهاج، ص: ٥٧٨.
(٦) دوحة الناشر، ص: ١٣٠.
(٧) نيل الابتهاج، ص: ٥٧٦.
(٨) الرحلة العياشية: ١/ ٥٠ طبعة حجرية.
(٩) معجم المطبوعات للقيطوني، ص: ٣٢٩.
(١٠) نشر المثاني ٢/ ٣٧١ ـ رحلة العياشي: ١/ ٥٠.

وفاته:

توفي رحمه الله بتوات سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م.

ويقال: إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه فعمي مكانه[(١)].

تآليفه:

مما قاله عنه مترجموه في شأن تصانيفه: صاحب التآليف المفيدة والتصانيف العديدة منها:

١ ـ هداية المترشدين ونصيحة المهتدين[(٢)].

٢ ـ شرح البيان في علم التبيان[(٣)].

٣ ـ تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار عما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار. وهو المسمى بمصباح الأرواح[(٤)].

٤ ـ تأليف فيما يجب على الملوك[(٥)].

٥ ـ شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب[(٦)].

٦ ـ رسالة في الخلافة[(٧)].

٧ ـ إفهام الانجال أحكام الآجال[(٨)].

٨ ـ البدر المنير في علوم التفسير[(٩)].

٩ ـ شرح مختصر خليل سماه مغني النبيل اختصر فيه جداً، وصل فيه للقسم بين الزوجات، وله عليه قطع آخر من البيوعات[(١٠)].

---

(١) نيل الابتهاج، ص: ٥٧٧.

(٢) مخطوط عدد: ٢٠٩ مؤسسة علال الفاسي الرباط، ضمن مجموع من صفحة ٥١٣ ـ ٥١٧.

(٣) مخطوط عدد: ٢/٢٧٤ الخزانة العلمية الصبيحية سلا.

(٤) مخطوط عدد: ١٦٠٢د ـ ٢٠١٣ ـ ٢٢٢٣د ـ الخزانة العلمية الرباط.

(٥) تأليف فيما يجب على الملوك ضمن مجموع من ورقة ٢٨٧/ب إلى ورقة ٢٢٦/أ تحت عدد ١٨١٦د. مخطوط الخزانة العامة الرباط.

(٦) مخطوط عدد: ٢٢٣١د خ العامة الرباطة. أرجوزة من ص: ١ ـ ٢٦.

(٧) مخ: ٥٣٣٢٥ خ العامة الرباط.

(٨) مخ عدد: ٥٤٧٠ خ العامة الرباط.

(٩) نيل الابتهاج ص: ٥٧٧ ـ معجم المطبوعات للقيطوني، ص: ٣٢٩.

(١٠) المرجع السابق ص: ٥٧٧ ـ معجم المطبوعات، ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ١٦٨/٥.

١٠ ـ شرح الجمل في المنطق ومقدمة فيه[١].
١١ ـ تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين[٢].
١٢ ـ ثلاثة شروح على منظومة منح الوهاب[٣].
١٣ ـ مفتاح النظر في علم الحديث فيه أبحاث مع النووي في تقريبه[٤].
١٤ ـ مختصر تلخيص المفتاح وشرحه[٥].
١٥ ـ تأليف في المنهيات[٦].
١٦ ـ فهرسة مروياته، وعدة قصائد كالميمية على وزن البردة[٧].



(١) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات، ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٢) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات، ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٣) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات، ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٤) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٥) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٦) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.
(٧) المرجع السابق ص: ٥٧٨ ـ معجم المطبوعات ص: ٣٢٩ ـ الإعلام للمراكشي: ٥/١٠٨.

وصف مخطوطات التحقيق

١ ـ **النسخة الأولى**: وهي التي رمزت لها بحرف: (أ) وتوجد في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٠١٣) د ضمن مجموع. ومقياس الصفحة منها (٢٢) سم طولاً. و١٧,٥ سم عرضاً، تتكون من (١٦) صفحة. من صفحة: ٣٦٥ إلى ٣٨٠. وفي كل صفحة (٢٥) سطراً، بمقدار ١٥ كلمة في السطر تقريباً و١٢ كلمة. وهي مكتوبة بخط مغربي حسن، وحبرها أسود. وورقها جيد، لم تخل من التصحيف والتحريف لبعض الكلمات. تم نسخها يوم الجمعة ١٨ صفر الخير عام ١٢٨٧هـ. خالية من ذكر اسم الناسخ.

النسخة الثانية: وهي التي أشرت إليها في التحقيق بحرف (ب)، توجد في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: (٢٢٢٣) د، ضمن مجموع من صفحة ٣٧٩ إلى صفحة: ٣٩٦، عدد صفحاته (١٧) صفحة، مقياس الصفحة منها: ١٩,٥سم طولاً، و١٤,٥ سم عرضاً، في كل صفحة ٢٣ سطراً، بمقدار ١٥ و١٢ كلمة في السطر بخط مغربي لا بأس به. وحبرها أسود. بهوامشها استدراكات قليلة، يحتمل أنها بخط الناسخ، وهي خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

النسخة الثالثة: توجد هذه النسخة أيضاً في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد ٣٢٢د وقد رمزت لها بحرف (ج) ومقياسها (٢٢) سم طولاً، و١٦,٥ سم عرضاً. ضمن مجموع تبتدأ من صفحة ٢٤٠ إلى صفحة ٢٥٦. عدد صفحاتها (١٧) صفحة، في كل صفحة: (٢١) سطراً، وفي كل سطر منها (١٤) كلمة تقريباً، أما ورقها فيميل لونه إلى الإصفرار الباهت، سلم من اعتداء الأرضة عليه. بوجد بِهَامِشِهَا عناوين قليلة للمواضع المصنفة داخل الكتاب. كتبت بخط مغربي جيد. لونه أسود مكون من مادة الصمغ، لم يذكر اسم ناسخها وزمن نسخها.

الخطوات المتبعة في التحقيق

أول عمل قمت به في عملية التحقيق بعد أن تصفحت هذه الرسالة، ووجدت أنها تستحق أن تحقق، وتنشر لاشتمالها على معلومات مفيدة في موضوع الجزية وعما عليه أكثر يهود ذلك الزمان الذي عاش فيه المصنف من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان. نسختُ الرسالة أَوَّلاً لأتمكن من موضوعها وأعني بذلك النسخة المعتمدة المرموز لها بحرف: (أ) لِصِحَّتِهَا، وعارضتها بنسخة حرف (ب). ونسخة حرف (ج). فقارنت بينهم، فوجدت أقرب النسختين هما نسخة (أ) و(ب). أما نسخة حرف (ج) فقد جاءت في الرتبة الثالثة لكثرة اختلافها معهما. وأثناء المقارنة حرصت على إثبات الزيادة في كل نسخة، وذلك طبقاً للقواعد الإملائية الحديثة بعد تخليصها من الأخطاء التي وقع فيها ناسخها.

ـ خرجت الآيات القرآنية الشريفة على المصحف.

ـ خرجت الأحاديث النبوية على كتب السنة.

ـ ترجمتُ للأعلام الواردة في النص معتمداً بذلك على كتب التراجم والأعلام.

ـ لإبراز مضمون الكتاب، قمت بوضع رمز المعقوفتين [ ] للدلالة على ما يزيد في «الأصل» أو ما أسقط منه أو من إحدى النسخ، إن كان فيه ما يخل بالمعنى.

ـ ومن حيث الشكل، فقد تصرفت في الرسم في حدود لا تمس مضمون الكتاب، وضعت النقط، والفواصل، والمزدوجتين للدلالة على الحديث النبوي، والآيات القرآنية.

ـ وضعت الأرقام العددية فوق الكلمات المراد تحقيقها. والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المراد تخريجها.

ـ كتبت بعض الكلمات طبقاً للقواعد المتبعة في الكتابة العصرية دون أن أشير إلى ذلك في الهامش.

دوافع التأليف

إذا تتبعنا خطوات التصنيف لهذا الكتاب، نجد أن صاحبه لم ينطلق من فراغ في وصف أحداث سمعها، أو اعتمد فيها على أخبار منقولة إليه لا يعلم صحيحها من مكذوبها، بل نقل لنا في رسالته هذه، أحداثاً عاشها وعايش أهلها وبالخصوص اليهود الذين كان له معهم موقف خطير يرجع سَبَبُهُ بالأصل: توليهم أحكام جُلِّ قرى توات ونواحيها. حيث بدلوا عادات المسلمين وتقاليدهم. بعادات يهودية زيادة على احتكارهم المادي والاقتصادي وذلك أن زعميهم الحاخامي كان ساحراً تسلط على المسلمين، فأبطل النيران، وعطلها على جميع من بتوات من المسلمين. ثم دخل في بيته وَطَيَّنَهُ على نفسه. وصار يخاطب الناس من كُوَّةٍ من أعلى البيت يُخرج منها رأسه، زيادة على إظهار بعض الأعمال الشنيعة التي لم يبال لها المسلمون، وهي خطيرة على عقائدهم، فلما جاء هذا الشيخ رحمه الله تعالى صاحب الرسالة إلى توات شكى إليه المسلمون ما لقوا من تعطيل النار. فقلّد اليهودي وَكَلَّمه، وقال له: أرني رأسك. فأخرج إليه اليهودي رأسه من الكوّة، فأشار الشيخ إلى الحائط بخنقه، فاستغاث اليهودي بالشيخ. فقال له: إن أطلقت النارَ للمسلمين وإلا خنقك الحائط حتى تموت فأطلق النار، فلما أطلقها أشار الشيخ إلى عنق اليهودي، فزال رَأْسُه عن جُثَّتِهِ، وقال للمسلمين: إن الذمة قد برئت من اليهود لأنهم قد نقضوا واشتغلوا بالسحر، فقتل منهم عدداً كثيراً، وجعل لمن بقي منهم: القصة والوقار. أي: الذلة والصَّغار، والخُفَّ الأسود، وردهم إلى ما كانوا عليه من الذل والاحتقار، وهدم كنائسهم وَكَسَّرَ شَوْكَتَهُم حتى بغضهم الخاص والعام.

لكن موقفُه هذا خالفه فيه أكثر فقهاء وقته، منهم: الشيخ ابن زكري. والفقيه عبد الله العصنوني قاضي توات واعتبروه عنصرية، وضرباً من ضروب الجاهلية نهى عنها الإسلام الذي يدعو إلى التسامح والأمن وإن اختلفت

الأديان بينما وجد من يناصره في هذا العمل وَيُعَضِّدُهُ وعلى رأسهم: الإمام العالم: عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي وغيره.

فلهذا قام الشيخ رحمه الله بوضع هذا التأليف الوجيز ليبين فيه مكر اليهود وصهيونيتهم ضد المسلمين وخبث آرائهم، لا ليثير نعرة العداوة، ولكن ليضع حداً لعملهم المقيت داخل بلدة توات، التي أرادوا السيطرة عليها وهم ذميون، والذمي يعيش في بلد الإسلام تحت حماية المسلمين مقابل جزية يدفعها لبيت مال المسلمين احتقاراً وصغاراً له حتى يدخل في الإسلام فترفع عنه.

محتوى الكتاب شكلاً ومضموناً:

يتكون الكتاب أولاً من مقدمة وجيزة استهلها المصنف بالتصلية والحمد، وختمها بشهادة التوحيد والصلاة على سيد المرسلين ومن تبعه من أصحابه والتابعين إلى يوم الدين. ومن ثلاثة فصول وهي كالتالي.

- **الفصل الأول**: تحدث فيه، فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار مستدلاً بذلك باستشهادات نقلية من الكتاب والسنة، وحمل على كل من يساندهم ويتعامل معهم.

- **الفصل الثاني**: فيما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية والصغار مع بيان توضيحي لشرح الجزية وفرضها على أعداء الإسلام، ومقدار ما يجب عليهم فيها.

- **الفصل الثالث**: تكلم فيه على طغيان اليهود وتمردهم لعنهم الله على الأحكام الشرعية والأركان، مما دفع بالمصنف أن يحل دماءهم بدليل ما هم عليه من تنطع ومكر. ثم يبين الحالة التي يجب أن يتسموا بها إن أرادوا العيش والحياة مع المسلمين، سواء في عاداتهم وتقاليدهم أو معتقداتهم وغيرها. وفي ختام هذا الفصل حمل على كل من يتعاطف معهم، وتجري في عروقه المحبة والولاء لهم، ناظماً في ذلك أبياتاً يجهز فيها عليهم.

❁ ❁ ❁

تحقيق الكتاب

الرسالة الأولى
مصباح الأرواح في أصول الفلاح

للشيخ: محمد بن عبد الكريم
المغيلي التلمساني الجزائري
المتوفى سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م



وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تَسْليماً.

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تِبيْاناً لِكُلِّ شيء وهدى ورحمةً وَبُشْرَى للمسلمين، وَنَصَرَ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَأَظْهَرَ دِينَ الإسلام على كُلِّ دينٍ، ذي[1] الْعَظَمَةِ والجلال، والعِزَّةِ والكَمَال. عَالِمُ الغيب والشهادة الكبير المتعال، له الرِّقَابُ خاضعة، والأبصارُ خَاشِعَةٌ وَكُلُّ أمر بيده، ولا حول ولا قوة إلاَّ بِهِ. أَحْمَدُهُ وَأُوَحِّدُهُ وَأُعَظِّمُهُ وَأُمَجِّدُهُ، وأعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل الله فما له[2] من هاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالقُ كل شيء وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، ذو الخلق العظيم، والخَلْقِ الكريم القويم صلى الله وسلم[3] عليه وعلى آله وأصحابه[4] أفضل الصلاة وأتم التسليم، ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين الأئمة المهتدين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا كتاب من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني لطف الله به، وبجميع أحبابه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى[5] آله وأصحابه إلى كل مسلم ومسلمة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته [ورضوانه وتحياته][6].

أما بعد: فقد سألني بعض الأخيار، عما يجب على المسلمين من

---

(١) في ج: ذو.
(٢) في ج: فلا هادي له.
(٣) إسقاط وسلم من: ج.
(٤) في ج: ومحبه.
(٥) كلمة وعلى ساقط من: أ، الزيادة من: ب.
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذِّميّة من الجزية والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان[١]، بتوليه أرباب الشوكة، أو خدمة[٢] السلطان، فقلت[٣] والله المستعان [وعليه التكلان][٤].

(١) إسقاط الأركان من: ج.
(٢) في ج: وخدمة بإسقاط الألف.
(٣) في ج: وأقول.
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار

قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[1].

وكل جنس إلى جنسه ألف من جميع الحيوانات، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[2] وفي ذلك قلت:

إذا[3] قرب الإنسان أخيار[4] قومه ... وأعرض عن أشرارهم[5] فهو صالح[6]
وكل امرئٍ ينبيك عنه قَرِينُهُ ... وذلك أمرٌ في البرية واضح

* * *

والحاصل أنه لا يقرب كافراً من نفسه أو عياله، أو يستعمله في[7] أعماله، أو يجعل بيده شيئاً من ماله، إلا من لا دين له، ولا عقل له، ولا مروءة له. أما بيان كونه لا دين له فبأدلة عقلية ونصوص شرعية، وذلك أن الله تعالى رَكَّبَ في طبع كل إنسان أنه لا يرضى لأحد من عبيده أن يقرب عدواً من أعدائه، ولا أن يقاطع حبيباً من أحبابه، لأن كل ما تراه حَقًّا لَكَ على عبدك من مقاطعة أعدائك، ومواصلة أحبابك وغير ذلك فللَّه[8] عليك أعظم من ذلك لأنه جَلاً وَعلا هو الذي خَلَقَك ورزقك[9]، وبيده ما ينفعك ويضرك[10]، فكيف يرضى لك أن تقرب عدوًّا من

(١) سورة النور، آية: (٢٦).
(٢) سورة المائدة، آية: (٥١).
(٣) في ج: وإن.
(٤) في ج: أشرار.
(٥) في ج: أخيارهم.
(٦) في ج: طالح.
(٧) في ج: في شيء من أعماله.
(٨) في ج: فلله تعالى مع إسقاط كلمة: عليك.
(٩) إسقاط الواو من: ج.
(١٠) في ج: وما يضرك.

أعدائه، أو تقطع[١] حبيباً من أحبابه، لأجل شهوة من شهواتك[٢]، وأنت لا ترضى ذلك لعبد من عبيدك، وهم بنو آدم مثلك، بل ولا ترضى ذلك[٣] لأحد ممن ينسب لجانبك[٤] حتى أنك لو اطلعت على حبيب من أحبابك قد قرب عدواً من أعدائك، لكرهت ذلك منه ونفر قلبك عنه، ولا تقبل منه عذراً حتى يبعد عنه أعداءك.

كذلك يضرب الله لكم أمثالكم من أنفسكم وما ملكت أيمانكم. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[٥]. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦] قلت:

حبيبي من يعادي من أعادني[٧] ... ويشفي ما بقلبي في الأعادي

ويعلى رأسه[٨] بين البرايا ... ويفنى عن هواه في مرادي

* * *

فكل مؤمن حقيقي، لا بدّ أن يكون شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين، وبرهان ذلك أن كُلَّ مُؤمِنٍ لا بدّ أن يُحِبَّ النبي ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أَحَبَّ إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين»[٩]. وكل من يحب النبي ﷺ، لا بدّ أن يكونَ معه لقوله ﷺ: «المرء مع من أحب»[١٠]. وكل من كان معه عليه الصلاة والسلام لا بدّ أن يكون شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ

---

(١) في ج: أو تقاطع.

(٢) في ج: من الشهوات.

(٣) إسقاط، ذلك من: ج.

(٤) في ج: إلى جانبك.

(٥) سورة العنكبوت، آية: (٤٣).

(٦) سورة الأنبياء، آية: (٧).

(٧) في ج: أعادي.

(٨) في ج: رايتي.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (٨) باب حب الرسول ﷺ من الإيمان حديث (١٥) برواية: أنس بلفظ: والده وولده. وفي رواية أبي هريرة: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده» حديث (١٤) المرجع السابق.

(١٠) أخرجه الترمذي في حديث طويل برواية زر بن حبيش في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار. حديث (٣٥٤٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه بنفس اللفظ أحمد في مسنده حديث (٣٧١٧) ١/ ٥١٠ برواية: وائل عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب» وحديث (١٩٥٧٤) ٤/ ٤٨٦ برواية أبي موسى، وبرواية زر بن حبيش (١٨١١٥) ٤/ ٢٩٣.

ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[١] فذكر تعالى الذين يحبون نبيه ﷺ بلفظ: «والذين[٢] معه»، تنبيهاً على عظيم[٣] ثوابهم، ثم وصفهم بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، تنبيهاً على[٤] ملازم محبتهم ومن فسر الذين معه بالصحابة لم يرد الحصر فيهم والتخصيص لهم[٥]، ولذلك[٦] ذكرهم دون غيرهم على وجه تعظيمهم والمبالغة في مدحهم. لأنهم أئمة الأمة، وجميع الأحباب على أثرهم، فالمعنى محمد رسول الله والذين معه اليوم في بيته[٧]، ويوم القيامة في زمرته وهم المؤمنون به الموصوفون بصحبته[٨]، أشداء على أعدائه رحماء بأمته، ولذلك قال القاضي أبو الفضل عياض[٩] رضي الله عنه في علامات حب النبي ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الأنصار والمهاجرين، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم. فبالحقيقة من أحب شيئاً أحبَّ كل شيء يحبُّهُ، وهذه سيرةُ السلف الصالح حتى في المباحات وشهوات النفس فقد قال أنس[١٠] رضي الله تعالى عنه حين رأى النبي ﷺ يتبع الدّباء من حوالي القصعة: «فما زلت أحبّ الدباء من يومئذٍ». ومنها شفقته على أمة النبي ﷺ ونصحه لهم والتسبب في مصالحهم، ودفع المضار عنهم، كما كان النبي ﷺ رؤوفاً رحيماً. ومنها بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداهما ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل من يخالف شريعته. قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ

---

(١) سورة الفتح، آية: (٢٩).

(٢) إسقاط الواو من: ج.

(٣) في ج: عُظم.

(٤) في ج: على أن ذلك من لازم.

(٥) في ج: بهم.

(٦) في ج: وإنما.

(٧) في ج: سنته.

(٨) في ج: بمحبته.

(٩) أبو الفضل عياض بكسر العين بن موسى اليحصبي السبتي، سبتي الدار والمولد فاسي الأصل توفي بمراكش سنة: ٥٤٤هـ/ ١٠٥٢م. تُرْجِمَ له في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٤٨٣ ـ شذرات الذهب: ٤/ ١٣٨ ـ الديباج المذهب لابن فرحون ٢/ ٤٦ ـ ٥١ ـ الفكر السامي: ٢/ ٢٦٠ رقم ٥٨٧. الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢/ ١٦٧.

(١٠) أنس بن مالك صحابي جليل خدم النبي ﷺ وكان له يومئذٍ تسع سنين ويقال ثمان، غزا مع النبي ﷺ ثمان غزوات وروى الكثير، فهو معدود من أصحاب الألوف وتوفي سنة ٩٣هـ. ترجم له في الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ١٠٩ ـ الإصابة: ١/ ٧١ ـ ٧٣ ـ صفة الصفوة ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١.

مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] وهؤلاء أصحاب النبي ﷺ قد قتلوا أحبابهم، وقتلوا أباءهم، وأبناءهم في مرضاته ﷺ. وقال له عبد الله [بن عبد الله][2] بن أبي[3]: لو شئت لأَتَيْتُكَ برَأسِهِ يعني أباه[4]. [ما نقلته عنه رضي الله عنه][5] ولقد أخبرني بسنده بعض الإخوان عن سيدي إبراهيم المصمودي[6] قطب تلمسان[7] في ذلك الزمان، أنه كان يجلس عند رجل من العطارين في حانوته، فقصده يوماً على عاداته، وإذا به[8] رأى يهودياً واقفاً عليه فَوَلَّى الشيخ إلى بيته، فبلغ الرجل ذلك فجاء إليه وطلب أن يدخل عليه فغلق في وجهه الباب ولم يفتح له وقال له[9]: وجه أقبلت به على عدو الله ورسوله لا تقبل به على حبيب الله ورسوله أو نحو ذلك.

وكذلك أخبرني بعض الإخوان عن الأستاذ هبة الله[10]، وكان عالماً

---

(١) سورة المجادلة، آية: (٢٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ، و، ج، الزيادة من: ب. وهو الصحيح.

(٣) عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحر هو: ابن أُبَي بن سلول كان أبوه رأس المنافقين استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه. انظر ترجمته في الإصابة: ٤/ ٩٥، ٩٦ رقم: ٤٧٧٥.

(٤) قال ابن حجر عند ترجمة عبد الله بن أبي: «هذه الرواية رواها ابن منده من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بهذا وفيه قصة وروى الطبراني من طريق عروة عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه استأذن نحوه فقال: لا تقتل أباك. انظر الإصابة: ٤/ ٩٦.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

(٦) توفي سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م ترجم له في شجرة النور: ١/ ٢٤٩.

(٧) تِلِمْسَان: بكسرتين، وسكون الميم وسين مهملة. وبعضهم يقول: تنمسان، بالنون عوض اللام. وهي قاعدة المغرب الأوسط الجزائر. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ١٣٥، ١٣٦ ـ ومعجم البلدان لياقوت الحموي: ٢/ ٤٤.

(٨) في ج: قد رأى.

(٩) إسقاط، له من: ج.

(١٠) في ج: هبة شيخ الكاتب. اسمه الكامل: أبو بكر هبة الله بن الفرج الكاتب المعروف بابن أخت الطويل الهمذاني. انظر عنه كتاب: اقتفاء الأثر، ص: ١٧٢، وشجرة النور: ١/ ٩٥ رقم ٢٢٠.

تقياً أنه لمَّا مَرَّ بوادي دَترا[١] وأقام به مدة لم يقرب قط قصر[٢] بني سبيح[٣] لأجل أولياء اليهود، وكان إذا مَرَّ لبعض شأنه يسير[٤] حتى إذا[٥] حاد قصرهم، شَمَّرَ على[٦] ساقيه وقال لأصحابه: اجروا لِيَلاً ينزل على أولياء اليهود غضب فيصيبكم معهم، فلا يزال يجري مع أصحابه حتى يبعد عن قصرهم. فهذه[٧] صفة أحباب الله[٨] ورسوله، وفعلهم في أعدائه ﷺ[٩] وكل من كان من[١٠] جهتهم ولو كانوا من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم، فما أكذب قوماً يزعمون أنهم يؤمنون بالنبي ﷺ ويحبونه، وهم مع ذلك يقربون من أنفسهم وأهليهم أعداءهم، بل ويتولون أشد الناس عداوة لهم، ويقطعون[١١] لأجلهم أحبابهم[١٢] حتى إنهم يأتون[١٣] اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١٤]. قال الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٥].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾[١٦].

وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ

---

(١) في ج: درعة. وتقع درعة في جهة سجلماسة بجنوب المغرب وتعرف بواديها الكبير الذي يجري من المشرق إلى المغرب وينبعث من جبل درن وطوله ١٢٠٠ كلمتر. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي: ٢/ ٤٥١ والروض المعطار في خبر الأقطار، ص: ٢٣٥ ـ والموسوعة المغربية ملحق ٢ ص: ١٩٥

(٢) القصر الصحراوي هو عبارة عن قصبة كبرى في غالب الأحيان مربعة أو مستطيلة الشكل مع أبراج ركنية تصلها أسوار محاطة بخندق خارجي والقصر بمثابة الدوار، والدشر، راجع الموسوعة المغربية ملحق (٢) ص: ٢٣٨ ـ ٢٤٢.

(٣) في ج: بني صبيح.

(٤) إسقاط، يسير من: ج.

(٥) إسقاط، إذا من: ج.

(٦) في ج: عن.

(٧) في ج: فكذا.

(٨) في ج: النبي ﷺ.

(٩) إسقاط، التصلية من: ج.

(١٠) في ج: في.

(١١) في ج: ويقاطعون.

(١٢) في ج: أحبابه.

(١٣) في ج: يأوون.

(١٤) سورة الرعد، آية: (٥).

(١٥) سورة المائدة، آية: (٥١).

(١٦) سورة النساء، آية: (١٣٨، ١٣٩).

أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[٥]. إلى غير ذلك من الآيات، [وفي ذلك[٦]] قلت هذه الأبيات:

حُبُّ النَّبِيِّ يقتَضِي بُغْض اليهُودْ ... فَأبْكِ على ما قد مضى ولا تعود[٧]

كَيْفَ بِمَنْ قَرَّبَ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ ... في القبرِ، والحشرِ، إلى نار الوقود

من ذا الذي يشفع فيه إن دَنَا[٨] ... من وجهه الذين ارْتَضى[٩] به اليهودْ

***

وأما بيان كونه لاَ عَقْلَ لَهُ فبأدِلَّةٍ عقلية[١٠]، ونصوص شرعية أيضاً. وذلك أن أول عقل المرء أن يقرب من منافعه[١١] ويبعد عن أبواب مضاره، وقد ركب الله تعالى[١٢] هذا المعنى حتى في البهائم فما من حمار يرى منفعته في شيء إلا ويقرب منه، وما من حمار يرى مضرته في شيء إلا ويبعد عنه، وقد علم كل ذي عقل أن من أعظم أبواب منفعته أَحْبَابُهُ، وأن من أعظم أبواب مضرته

---

(١) سورة المائدة، آية: (٨٠، ٨١).
(٢) سورة المجادلة، آية: (٢٢).
(٣) سورة التوبة، آية: (٢٣).
(٤) سورة النساء، رية: (١٤٤).
(٥) سورة آل عمران، آية: (٢٨).
(٦) ما بين المعقوفتين في ج: وعليه.
(٧) في ج: ولاَ تعد.
(٨) في ج: دنت.
(٩) في ج: أرضى.
(١٠) في أ: عقيلة. التصحيح من: ب وج.
(١١) في ج: من أبواب منافعه.
(١٢) إسقاط تعالى من: ج.

أعداؤه. فعلى كل عاقل أن يقرب من أحبابه، وأن يبعد عن أعدائِه بقدر طاقته، وذلك بَيِّنٌ لا يَخْفَى عَلَى[١] أحَدٍ ومن خفي[٢] هَذا عنه فالحمارُ أعقل منه. وإذا علمت ذلك فمن لا يبعد بنفسه وأهله وماله وجميع أعماله عن الكفار، فهو أجهل من الحمار لأنه عَدُوٌّ لنا في الحقيقةِ مثل أعداء[٣] نَبينا، وسيدنا[٤] ومولانا شفيعنا محمد ﷺ. لا سيما إخوان القردة فإنهم أشد الناس لنا عداوة[٥]. قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[٩].

إلى غير ذلك من آيات الكتاب المبين.

وقد أخبرني بعض الإخوان، وكان قاضياً في هذه الأوطان، أنه لَمَّا وليها[١٠] وولي القضاء بها، استعمل يهودياً في اشتغاله قال[١١]: وكانت مني زَلَّةٌ في استعماله حين ظننت أن تخدمه من إذلاله قال: فكان[١٢] يتصرَّفُ في أشغالي ويظهر[١٣] النصيحة لي فأعطيته يوماً ثيابي يغسلها ولم آمنه أن يغيب عليها[١٤]، فكان بين يدي يغسل وأنا أنظر حتى عرضت لي حاجة، فدخلت إليها ورجعت بسرعة فوجدته فوق ثيابي وهو يبول عليها، فربطته[١٥] وضربته

---

(١) في ج: عن.
(٢) في ج: ومن خفي عليه هذا.
(٣) في ج: أعدائنا وأعداء نبينا.
(٤) إسقاط، ومولانا من: ج.
(٥) في ج: عداوة لنا.
(٦) سورة البقرة، آية: (١٠٥).
(٧) سورة المائدة، آية: (٨٢).
(٨) سورة البقرة، آية: (١٠٩).
(٩) سورة آل عمران، آية: (١٠٠).
(١٠) في ج: قدم إليها.
(١١) في ج: وقال.
(١٢) في ج: وكان.
(١٣) في ج: ويظهر لي.
(١٤) في ج: عنه.
(١٥) في ج: فقبضته.

ما شاء الله [على فعله][١] وتُبْتُ من قرب[٢] أعداءِ الله ورسوله[٣]. وأخبرني أيضاً بعض الناس أنه رأى يهودية تعجن خبز[٤] مسلم وهي تمخط بيدها وتعجن قبل أن تغسلها. وأخبرني أيضاً[٥] أنه[٦] رأى يهودية أخرى[٧] تعجن خبز مسلم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظفارها، وتعجن من غير أن تغسل يدها[٨]، والأخبار في ذلك كثيرة، ولا يستبعد هذا عليهم إلا ضعيف البصيرة، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[٩]. وأما بيان كونه لا مروءة له فبأدلة عقلية، ونصوص شرعية أيضاً وذلك أن كل ذي همة عالية، وأنفاس مرضية[١٠]، ينفر بطبعه ولُبِّه[١١]، وجوارحه وقلبه، عن كل ذي نقيصة[١٢] ويشير بسببه ولو كان من أقرب قومه كأبيه وأمه، وبذلك[١٣] تعظم العداوة والبغضا بَيْنَ كثيرين[١٤] من الأقربين لا سيما إن كان كل منهما يُضلل[١٥] الآخر في مذهبه، ويطعن عليه في الدين ولذلك قيل[١٦]:

كُلُّ العداوةِ قَدْ تُرجَى مَوَدَّتُها ... إلا عَداوَةَ مَنْ عَاداكَ في الدِّينِ

وقد[١٧] علمنا طعن الكفار علينا وتقولهم في ديننا، لا سيما إخوانُ القردة، فإنهم أشد الناسِ لنا عداوة[١٨]، ولنبينا وحبيبنا وسيدنا ومولانا وشفيعنا [محمد ﷺ][١٩]، فما أقل همة من لا ينفر عنهم بطبعه وقلبه وجوارحه ولبِّهِ[٢٠]، وما أخَسَّ وأخزى من يسمح

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٢) في ج: عن قرب جميع.
(٣) إسقاط ورسوله من: ج.
(٤) في ج: خبزاً لمسلم.
(٥) في ج: آخر، بدل، أيضاً.
(٦) إسقاط، أنه من: ب.
(٧) ساقط من: ج.
(٨) في ج: يديها.
(٩) سورة آل عمران، آية: (١١٨).
(١٠) في ج، أمام كلمة مرضية: لا بد أن.
(١١) ساقط من: ج.
(١٢) في ج: عن كل من يعتقد نقصه.
(١٣) في ج: ولذلك.
(١٤) في ج: أكثر الأقربين.
(١٥) في ج: يضل.
(١٦) في ج: قل.
(١٧) في ج: ولقد.
(١٨) في ج: عداوة لنا.
(١٩) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ وب. الزيادة من: ج.
(٢٠) ساقط من: ج.

لهم بقربه، لأن ما من أحد منهم ينظر إلينا إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبنا والطعن علينا في ديننا، حتى أنهم لعنهم الله حرموا على أنفسهم ذبائحنا وأطعمتنا، والطبخ في قدورنا والأكل في آنيتنا، وأعظم من ذلك طعنهم في ديننا، واستهزاؤهم بِصَلاتِنَا وما يتعرضون به لسيدنا ومولانا محمد ﷺ حبيبنا وشفيعنا. ولذلك قال الله تعالى[١] العظيم[٢] في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]

وحكى[٥] الشهاب[٦] القرافي رحمه الله تعالى في كتاب الفروق: أن الخليفة غضب على الشيخ أبي الوليد الطرطوشي[٧] [صاحب سراج الملوك][٨]، فأمر بإدخاله عليه عازماً على عقوبته فلما دخل الشيخ عليه وَمَثُلَ

---

(١) ساقط من: أوب. الزيادة من: ج.
(٢) ساقط من: ج.
(٣) سورة الممتحنة، آية: (١).
(٤) سورة المائدة، آية: (٥٧).
(٥) إسقاط الواو من: ج.
(٦) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين القرافي، برع في الفقه والأصول، انتهت إليه رياسة المالكية في عصره توفي سنة ٦٨٤هـ.
ترجم له في: الديباج المذهب ص: ٤٧ ـ معجم المطبوعات لسركيس ٢/ ١٥٠١ ـ وكشف الظنون ١/ ٨٢٥ ـ و١٠٨٦ ـ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص: ١٧٤.
(٧) هو: أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ابن أبي رندقة الفهري الأندلسي المغربي مات سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م حسب معظم من ترجم له. أما عند الضبي في كتابه الملتمس ومن نقل عنه فيؤرخون وفاته سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م. ترجم له في: سير النبلاء: ١٩/ ٤٩٠ ـ الأنساب ١٩/ ٦٩ ـ بغية الملتمس ص١٢٨ الفكر السامي: ٢/ ٢٥٦ و٥٨٢ ـ وفيات الأعيان: ١٤/ ٢٦٢ ـ معجم المؤلفين ١٢/ ٩٦.
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
* وعنوان الكتاب الكامل: سراج الملوك والخلفاء، ومنهاج الولاة والأمراء وأخبار الأنبياء عليهم السلام، وأخبار ملوك العرب والعجم وتدبير الممالك والدول. وقد نشر في بولاق في ١٢٨٩هـ ثم في القاهرة ١٣١١هـ وترجمة إلى الإسبانية م: ألزكون. وهو كتاب في آداب السياسة ونصح الملوك وتذكيرهم.

بين يديه، رأى وزيراً من الرهبان جالساً بين بإزائه مقرباً إليه، فأنشد الشيخ في الحال بلسان المقال:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي جُودُهُ   يَطْلُبُهُ الْقَاصِدُ وَالرَّاغِبُ
[وَسَيِّداً طَاعَتُهُ عِصْمَةٌ   وَحُبُّهُ مُفْتَرِضٌ وَاجِبُ][١]
إِنَّ الَّذِي شَرفت مِنْ أَجْلِهِ   يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبُ

فاشتد غضب الخليفة[٢] عند سماع الأبيات[٣]، وأمر بالراهب فسجن[٤] وضرب وقتل، وأقبل الخليفة على الشيخ أبي الوليد وأكرمه وعظمه بعد أن عزم على إذايته، وهذا الخير العظيم إنما حصل للشيخ وللخليفة[٥] بسبب استحضارهما بغض الراهب للنبي ﷺ، فلم يبال الشيخ رضي الله عنه بما كان يخشى من عضب الخليفة وأذاه فوقاه الله شره[٦]، وكفاه وقلب لإكرامه قلب الخليفة وأرخاه ولم يبال الخليفة رحمه[٧] الله بما في قلبه على الشيخ من هواه فقواه الله على نفسه وهداه وطهره، من قرب عدو الله ورسوله فعزى فيه بعد أن تولاه، وكذلك[٨] يجب على كل من[٩] أن يستحضر[١٠] عظيم عداوتهم لنا، وطعنهم علينا في ديننا، وإن كل كافر منهم ولي للشيطان العدو[١١] المبين، قد استحوذ عليه فأخذ بعقله، ومجامع قلبه وقاده من[١٢] ناصيته حتى لا يتحرك بحركة ولا يتكلم بكلمة إلا عن رأيه، فيرى كل مؤمن حينئذٍ[١٣] بنور إيمانه، أن كل يهودي إنما هو إبليس بعينه فيعبِّر عنه[١٤] بنفسه ودينه ليلاً يغتاله من[١٥] قربه من حيث لا يشعر به، وأقرب من ذلك أن يتحبب إليه[١٦]

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٢) في ج: الملك.
(٣) في ج: البيتين.
(٤) في ج: وسحب.
(٥) في ج: والخليفة.
(٦) ساقط من: ج.
(٧) في ج: رضي الله.
(٨) في ج: فكذلك.
(٩) في ج: مومن.
(١٠) في ج ما بين كلمتي أن ويستحضر: بغفر كل كافر لنبينا وسيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ. وهي ساقط من: أ، و، ب.
(١١) في ج: اللعين.
(١٢) في ج: بناصيته.
(١٣) ساقط من: ج.
(١٤) ساقط من: ج.
(١٥) في ج: بقربه.
(١٦) في ج: له.

بشيء من ماله أو طعامه[١]، حتى يوقع في قلبه شيئاً من حبه فيستوجب بذلك سخط ربه، أو يُطعمه من طريفة، أو خمر أو جيفة، أو يدخل عليه ربًى في كسبه.

تنبيه: ما يصنعه الكتابي من الطعام على ثلاثة أقسام: طعام عمى[٢]، وطعام كفر، وطعام مكر. فطعام العمى: ما صنعوه لأكلهم وهذا هو طعامهم وهو: حل لنا بكراهة، لأن مالكاً رضي الله عنه كره للمسلم أكله كانوا أهل ذمة [أو أهل][٣] حَرْبٍ.

سحنون[٤]: ولا يوكل في إنيتهم، حتى تُغسل. وطعام الكفر ما صنعوه: لكنائسهم وأعيادهم ونحو ذلك من ضلالتهم[٥]، وهذا ليس من طعامهم[٦]، وإنما هو من طعام كفرهم، فلا[٧] يحل لمسلم أكله[٨] لأنه إنما[٩] أُهِلَّ به لغير الله وَقُصِدَ به تعظيم الكفر برسول الله، وطعام المكر: ما صنعوا[١٠] للمسلم[١١]، وهذا ليس من طعامهم أيضاً[١٢]، إنما هو من طعام مكرهم فلا يحل للمسلم[١٣] أكله[١٤] لا سيما إن كان بلحم لأنهم أهل الغش والخديعة. والعداوة البليغة، فكيف نؤمنهم على أطعمتنا، أم كيف نصدقهم في أنهم أتقنوا[١٥] الذبح، وكل ما يلزمنا. ولأجل ذلك لا يحل للمسلم[١٦] أن يُوكِلَ كافراً على سمسرة أو بيع أو شراء، أو صرف، لأن الله تعالى في ذلك حقوقاً أوجب علينا[١٧] القيام بها وحقوق الله تعالى لا يؤمَّنُ كَافِرٌ عليها

---

(١) في ج: وأدبه.
(٢) في ج: عمر.
(٣) ساقط من: ب.
(٤) سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي له درجة عالية في الفقه ومذهب مالك توفي سنة ٢٥٦هـ ترجم له في: الديباج المذهب: ٢/ ٣٠ - ٤٠ شجرة النور: ١/ ٦٩، ٧٠ رقم ٨٠ - الفكر السامي: ٢/ ١١٨، ١١٩ رقم ٣٩٦.
(٥) في ج: ضلالهم.
(٦) الواو ساقط من: ج.
(٧) في ج: ولا.
(٨) أكله ساقط من: ج.
(٩) في ج: مما.
(١٠) في ج: صنعوه.
(١١) في ج: لمسلم.
(١٢) ساقط من: ج.
(١٣) في ج: لمسلم.
(١٤) ساقط من: ج.
(١٥) في ج: أتموا.
(١٦) في ج: لمسلم.
(١٧) ساقط من: ج.

فكلما زعموا أنهم صرفوه[١] لنا فهو ربى، ولأجل ذلك أمر [أمير[٢] المؤمنين] عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يكونوا جزارين، ولا صيارفة[٣]، وأن يقوموا[٤] من أسواقنا كلها، وقال رضي الله تعالى عنه: إن الله تعالى قد[٥] أغنى المسلمين بالمسلمين فلا[٦] تستعملوا الكفار في شيء من أعمالكم، وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٧]. ويتوب [إلى][٨] الله على من تاب والله الموفق للصواب.



(١) في ج: فكلما زعموا أنهم ذبحوه فهو جيفة، وكل ما زعموا أنهم صرفوه لنا فهو ربى لنا.
(٢) ساقط من: ج.
(٣) في ج: ولا صيارف.
(٤) في ج: يقاموا.
(٥) إسقاط قد من: ج.
(٦) في ج: ولا.
(٧) سورة البقرة، آية: (٢٦٩).
(٨) إلى، ساقط من: ب وج.

فيما يلزم أهل الذمة الكفار[١] من الجزية والصِّغار

قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[٢]. فهذا أمر وجوب من الله تعالى بقتال اليهود والنصارى، ولا[٣] يرفع السيف عن رقابهم إلا بشرط إعطائهم الجزية وصغارهم، وكيف ينبغي أن يترك عدو من أعداء سيد الأولين والآخرين بين المؤمنين في أرض المسلمين حتى يدعن لما هو أشد من الحرق بالنار من الجزية والصغار، فحينئذٍ[٤] فينبغي[٥] أن يترك بماله[٦]. لأن إذلاله بذلك أشفى لقلوبنا من قتله ونهب ماله[٧]، فلا يحل أن يترك عدو من أعداء النبي المختار في شيء من القرى والأمصار، وسائر البلد[٨] والأقطار، إلا[٩] على الجزية والصغار. أما **الجزية**: فهي مال يعطيه منهم: كل ذكر بالغ حرّ، عاقل[١٠] قادر مخالط عند تمام كُلِّ سنة بصفة شرعية، فقد ترتب[١١] على هؤلاء اليهود ونحوهم بحسب فرض أمير[١٢] المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحو: ثمانية مثاقيل ذهباً[١٣]، أربعة منها أصل الجزية وأربعة فيما يتبعها من الأرزاق ونحوها. فمن كان لا يلحقه جور يعطيها كلها إن قدر عليها، ومن كان يلحقه جور

---

(١) إسقاط، الكفار، من: ج.
(٢) سورة التوبة، آية: (٢٩).
(٣) في ج: ولم.
(٤) يكتفي في ج، بوضع حرف: ح وعلامة فوق الحرف.
(٥) في ج: ينبغي.
(٦) في ج: أمام كلمة بماله، وجود كلمة: وأهله.
(٧) في ج: وبنصب ذلك كله، مع إسقاط كلمة: ماله.
(٨) في ب: البلاد. وهي ساقطة من: ج.
(٩) في ج: إلى إعطاء بدل: إلا على.
(١٠) عاقل ساقط من: ج.
(١١) في ب: رتب.
(١٢) أمير المؤمنين ساقط من: ج.
(١٣) ذهباً، ساقط من: ج.

أعطى[١] أصل الجزية، ويحط عنه ما يتبعها، وذلك إذا كان لا يتعدى شيئاً من الحد[٢] الذي على أهل الذمة، وإلا فلا يحط عنه للظلم شيء حتى يوفي بما عليه من شروط الذمة كلها، ويخفف عن الضعيف بحسب ضعفه فلا حَدَّ لأقلها أو يسقط[٣] عن من أسلم أو عجز حتى[٤] عن بعضها، وصفة أخذها أن يجمعوا يوم إعطائها بمكان مشتهر كالسوق ونحوه، ويحضروا بأخسة. وأسفلة قائمين عل أقدامهم وأعوان الشريعة فوق رؤوسهم بما يخوفهم[٥] على أنفسهم حتى يظهر لهم ولغيرهم، أن مقصدنا[٦] إذلالهم[٧] بأخذ[٨] أموالهم ويدرون[٩] أن الفضل لنا في قبول الجزية منهم، وإرسالهم بعد أخذها ثم يجلب[١٠] منهم فرد[١١] لقبضها ويصفع على عنقه بعد قبضها[١٢]، ويدفع دفعة يُرَى أنه خرج من تحت السيف بها هكذا يفعل أحباب سيد الأولين والآخرين بأعدائه الكافرين.

ولا يتولى أخذ الجزية منهم إلا ولي[١٣] الأمر، أو رجل من أهل الخير، بحيث أخذها وصرفها على يد واحدة لا عن أيد متعددة، فكل ما يأخذه أهل[١٤] القلائل[١٥] والوظائف من يهوديهم بأيديهم ليس بجزية[١٦]، وإنما هو رشوة على توليتهم.

وَتُصْرَفُ الجزية مصرف النبي[١٧] ﷺ. وسيرة أئمة العدل في صرفها[١٨]: أن يبدأ[١٩] بِسَدِّ مَا لا بد من سَدِّهِ من حصن، أو ثغر[٢٠]، أو سلاح وغير [ذلك من مصالح الإسلام][٢١] ثم بِعطايا[٢٢] آل النبي ﷺ

---

(١) في ج: يعطي.
(٢) في ج: الحدود التي.
(٣) في ج: وتسقط عمن.
(٤) حتى، ساقط من: ب.
(٥) في ج: عن.
(٦) في ج: مقصودنا.
(٧) في ج: إظهار إذلالهم.
(٨) في ج: لأخذ.
(٩) في ج: ويرون.
(١٠) في ج: تحيد.
(١١) في ج: فرد بعد فرد.
(١٢) في ج: أخذها.
(١٣) في ج: أولوا.
(١٤) أهل ساقط من: ج.
(١٥) في ج: الخلائق.
(١٦) إسقاط، الواو من: ج.
(١٧) إسقاط التصلية على النبي وورود مكانها لفظة الفيء.
(١٨) في ج: صرفه.
(١٩) في ج: يبدأوا.
(٢٠) إسقاط ثغر من: ج.
(٢١) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٢٢) في ج: يعطي لآل.

ويفضلون على غيرهم ثم بأرزاق العلماء[1] [والمؤذنين][2]، وكل من فيه شيء من أمور الدين، ومصالح المسلمين بحسب اجتهاد الناظرين، ثم بالفقراء والمساكين[3]، الأحوج فالأحوج حتى يعمهم بأجمعهم إذا[4] اتسع المال لكلهم. ثم يعم بما بقي جميع الناس بالهدية[5] غنيهم وأغناهم عربيهم ومولاهم إلا إذا رأى[6] الإمام أو من[7] يقوم مقامه في عدم ذلك، وليس[8] هذه الفعلة أو بعضها لنائب[9] مصلحة[10] بنية صادقة ونظر صائب فليفعل[11]، فإن قَلَّ المال وكثر الضلال والأهوال كما في هذا الزمان، فاجتهدوا في صرفها بحسب الإمكان، إذ لا بد من أخذ[12] الجزية من أهل الذمة وتصغيرهم في كل زمان ولو كانوا يُظْلمون، وَٱخْتَصَّ بِأَكْلِ الجزية الظالمون.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[13].

وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم»[14]. ولذلك لم يشترط الله تعالى في أخذ الجزية منهم شيئاً، إلا أن تكون عن يد وهم صاغرون. وأما الصغار فحاصله أن يلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم حتى يكونوا بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة من حرٍّ وحرّة، وعبد وأمة، وأول ما يتحفظ به عليهم صغارهم في دينهم بأن يدسوا جميع ما خالف الشريعة المحمدية، ولو كان في الشريعة الموسوية حتى لا يظهر لأحد من المسلمين شيء من صلاتهم ولا قراءتهم ولا كتبهم ولا يمدحون بحضرة مسلم أحداً من علمائهم، لأن الرسالة بالدين والجهاد على الدين. فالمبالغة بيننا وبينهم في الدين لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ

(١) في ج: المعلمين.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٣) والمساكين، ساقط من: ج.
(٤) في ج: إن.
(٥) في ج: بالسوية.
(٦) في ج: إلا أن يرى.
(٧) من، مستدركة على الهامش في: أ.
(٨) في ب: حبس، وفي ج: في عدمه حبس.
(٩) في ج: النوائب.
(١٠) مصلحة، ساقط من: ج.
(١١) فليفعل، ساقط من: ج.
(١٢) أخذ، ساقط من: ج.
(١٣) سورة البقرة، آية: (٢٨٦).
(١٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر حديث (١٣٣٧) برواية أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في مسنده حديث (١٠٦١٨) ٢/ ٦٦٩.

رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[١].

فإن[٢] غلبناهم في دينهم فنحملهم عل إخفائه، وَدَسِّ مَعَالِمِهِ وهم[٣] صاغرون، وإن ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، لأنا[٤] إذا غلبناهم على ذلك غَلبناهم على الصغار في الدين ونحوه وإن[٥] لم نغلبهم على ذلك، وكانت[٦] شعائر كفرهم قائمة اختل من[٧] صغارهم بقدر ما أقاموه من دينهم وإن اعطوا عليه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة[٨] بل قبول ذلك[٩]، يعكس الصغار عنهم ولأجل ذلك لا يمكنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين وإن اعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً وكيف يبيع مؤمن[١٠] شيئاً من غر الإسلام لأعداء الله[١١] ورسوله عليه الصلاة والسلام بشيء من هذه[١٢] الحطام ولو بخزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾[١٣]. [كلا والله لا تكون لهم عزة][١٤]. ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[١٥] وقال: ﷺ: «لا ترفع فيكم يهودية، ولا نصرانية»[١٦] يعني البيع والكنائس وقال ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلدة واحدة»[١٧]. والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لا كنيسة في دار الإسلام، وأمر أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة في بلاد الإسلام، وقد انعقد

---

(١) سورة الفتح، آية: (٢٨).
(٢) في ج: فإن نحن.
(٣) في ج: فهم.
(٤) في ج: لأننا.
(٥) في ج: وإن نحن.
(٦) في ج: فكانت.
(٧) من ساقط من: ج.
(٨) في ج: ثم.
(٩) في ج: ذلك منهم.
(١٠) في ج: المومن.
(١١) في ج: النبي عليه الصلاة والسلام.
(١٢) في ج: هذا.
(١٣) سورة النساء، آية: (١٣٨، ١٣٩).
(١٤) ما بين المعقوفتين من كلام المصنف.
(١٥) سورة النساء، آية: (١٣٩) وهي إتمام للآية السابقة.
(١٦) لم أعثر عليه في الصحيحين وكتب السنن.
(١٧) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب إخراج اليهود من جزيرة العرب حديث (٣٠٣٢) من رواية عبد الله بن عباس وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان وفيه لين. وفي رواية الترمذي وأحمد: «لا تصلح قبلتان في أرض واحدة».

على ذلك الإجماع بين المسلمين. [فلا خلاف بين علماء الأمة أجمعين وأنه لا يحل إحداث كنيسة في شيء من بلاد المؤمنين][١] ولا إقامة بيت لصلاتهم أو شيء من ضلالاتهم[٢] ولا أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً، وإن[٣] كانت الأرض التي أرادوا أن يفعلوا ذلك فيها ملكاً[٤] بهبة[٥] أو شراء أو غيرهما، فإن أذن[٦] في ذلك سلطان، أو قاضٍ أو غيرهما[٧] [من ولاة الأمر][٨] وجب نقض اذنه وهدم ما بنوه به إذ لا يكون إذن واحد[٩] ولا حكمه مانعاً من إقامة الحق وتغيير المنكر كائناً من كان وإن طال الزمان. ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١٠]. ولا يستدل في هذا [الزمان][١١] الكثير الشر بعمل الأمصار، وسكوت العلماء الأخيار، لأن الأمر اليوم ومن قبله[١٢] بيد أرباب الهوى لا بيد أرباب التقى[١٣]. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١٤]. ألا ترى أن الشيخ أبا الحسن الأشعري [رضي الله عنه][١٥] إمام أهل زمانه[١٦]، قد[١٧] أفتى بأن بناء المسلم الكنيسة كفر. قال: «وقد يكون ردة في حقه لاستلزامه إرادة الكفر. [وإرادة الكفر كفر][١٨] نقله عنه الشهاب القرافي في كتاب الجمع والفروق[١٩] وذلك واضح [وله فروق][٢٠]».

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٢) في ج: خلالهم.
(٣) في ج: ولو.
(٤) في ج: لهم ملكا.
(٥) في ج: بشراء أو هبة.
(٦) في ج: أذن لهم.
(٧) في ج: غيره.
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٩) في ج: أحد.
(١٠) سورة المائدة، آية: (٥٠).
(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب.
(١٢) في ج: قبله بكثير.
(١٣) في ج: التقوى.
(١٤) سورة آل عمران، آية: (٨٣).
(١٥) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
عن ترجمة: أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١١/٣٤٦، ٣٤٧ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٨٧ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٢/٣٠٣ ـ٣٠٥ ـ تاريخ التراث العربي لسزكين: ٢/٣٧٣، ٣٧٤.
(١٦) في ج: أهل السنة.
(١٧) في ج: وقد.
(١٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(١٩) كتاب الفروق هو: للإمام شهاب الدين أبي العباس القرافي بفتح القاف طبع هذا الكتاب في مجلدين ضخمين وهو في أربعة أجزاء. طبعة دار عالم الكتب بيروت أوراقه صُفر.
(٢٠) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

فيما عليه يهود هذا الزمان، في أكثر البلاد والأوطان، من الجرأة والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان[1]، بتولية أرباب[2] الشوكة وخدمة السلطان

فأقول: والله المستعان، لا شك أن اليهود المذكورين كيهود، توات[3]، وتيجرايز[4]، وتافيلالت ودرعة[5]، وكثير من الأوطان في[6] إفريقية، وتلمسان، قد حلت دماؤهم وأموالهم وأولادُهم ونساؤهم، ولا ذمة لهم لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية، لا الذمة الجاهلية. وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية [المرعية وهي كونهم يعطونها][7] عن يد وهم صاغرون، ويبين[8] معنى ذلك ما رواه ابن حبان وغيره عن عبد الرحمان بن غنم [رضي الله عنه][9] أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين صالح نصارى الشام [كتاباً ما نصَّهُ][10]: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله[11] أمير المؤمنين عمر بن

(١) الأركان ساقط من: ج.
(٢) في ج: أصحاب.
(٣) توات منطقة صحراوية بشرق المغرب كلها بلاد النخيل والآبار. انظر الترجمانة الكبرى ص: ٦٨ ـ والموسوعة المغربية لعبد العزيز بن عبد الله ملحق (٢) ص: ١٥٣ ـ ١٥٥ وتقييد ما اشتمل عليه إقليم توات. مطبوع.
(٤) في ج: وتيجرارة.
(٥) في أ: وذرعي، التصحيح من: ب. وفي ج: ودرعاً.
(٦) في ج: بإفريقية.
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٨) في ج: ويبين لك.
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(١١) في ج: لعبد الله عمر أمير المؤمنين.

الخطاب من نصارى الشام أما بعد[١]: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديراً ولا بيعة، ولا كنيسة، ولا صومعة[٢]، ولا نجدد ما خرب منها. وأن[٣] لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل[٤] ولا نهار [وأن[٥] لا نوسع أبوابها للمارين، وابن السبيل][٦] وأن ننزل من مَرَّ بنا من المسلمين[٧] نطعمهم ونسقيهم[٨]، ولا نأوى في كنائسنا ولا منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا تعلموا[٩] أولادنا القرآن ولا نظهروا شرعنا، ولا ندعُ[١٠] إليه أحداً، ولا تمنعوا أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام، إن أراده، وأن نوقر المسلمين ونقدم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس[١١]، وَلاَ نُتَشَبَّه بهم في شيء من لباسهم لا في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين[١٢]، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى[١٣] بِكُنَاهُم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف. ولا نتخذوا شيئاً من السلاح، ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نبيعوا[١٤] الخمور، وأن نَجُزَّ مقادم رؤوسنا ونلزم زينا حيث[١٥] كُنَّا، وأن لا نشدوا[١٦] الزنانير على أوساطنا، وأنَّ لا نظهروا[١٧] صُلبانَنَا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا[١٨] أسواقهم وأن لا نضرب بنواقسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً، ولا نرفع[١٩] أصواتنا بالقراءة[٢٠] ولا[٢١] في شيء من حضرة المسلمين[٢٢]، ولا نرفع أصواتنا مع أمواتنا[٢٣]، ولا نظهروا النيران معهم في شيء من طرق المسلمين

---

(١) أما بعد ساقط من: ج.
(٢) في ج: ولا صومعة راهب.
(٣) أن ساقط من: ج.
(٤) في ج: أو.
(٥) في ب: نوسع، وفي ج: وأن.
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٧) في ج: من المسلمين ثلاث ليال.
(٨) نسقيهم ساقط من: ج.
(٩) في ب وج: ولا نعلم.
(١٠) في ج: ولا ندعوا.
(١١) في ج: الجلوس فيها.
(١٢) في ج: ولا نعلين، ولا فرق شعر.
(١٣) في ج: ولا نكتني.
(١٤) في ب وج نبيع.
(١٥) في ج: حيثما.
(١٦) في ج: وأن نشد الزنار.
(١٧) في ج: ولا نظهر.
(١٨) في ج: وأسواقهم.
(١٩) في أ: ولا نرفعوا.
(٢٠) في ج: بالقراءة في كنائسنا.
(٢١) اللام ساقط من ج.
(٢٢) في ج: أمام كلمة المسلمين، ولا نخرج.
(٢٣) في ج: موتانا.

وأسواقهم، [ولا نجاورهم بموتانا][١]، ولا نطلع على منازل المسلمين فلما بلغ الكتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه زاد فيه ولا نضرب أحداً[٢] من المسلمين شرطنا[٣] ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليهم[٤] الأمان، فإن نحن خالفنا على[٥] شيء مما شرطنا لكم، فلا ذمة لنا، وقد حل لكم ما يحل لأهل المعاندة والشقاق فكتب إليه عمر رضي الله تعالى عنه: أن آقضى ما سألوهُ وألحق فيه شرطين اشترطتها عليهم مع ما اشترطوه على أنفسهم، أن لا يستتروا[٦] شيئاً من سبايا المسلمين. ومن ضرب مُسْلِماً عمداً فقد خلع عهده، انتهى[٧]. فعلى هذا اعتمد [علماء الأمة واتفق عليه أئمة][٨] كل مذهب في الأحكام المتعلقة بأهل الذمة، إلا أنهم اختلفوا فيما ينتقض به العهد من ذلك [بين الأئمة][٩] ففي الذخيرة قال ابن حزم[١٠] في مراتب الإجماع: «اختلف العلماء في نقض عهد الذمي وقتله وسبي ماله وأهله، وإذا أخل بواحد مما نذكره وهو[١١] أربعة مثاقيل ذهباً في إنقضاء كل عام له[١٢] قمري صرف كل دينار اثنا عشر درهماً». وأن[١٣] لا يحدثوا كنيسة، ولا بيعة ولا ديوراً. ولا صومعة، ولا يجددوا ما خرب منها. ولا يمنعوا[١٤] المسلمين[١٥] النزول في كنائسهم وَبِيَعِهِمْ ليلاً ولا نهاراً[١٦] ويوسعوا[١٧] أبوابها للنازلين، ويضيفوا من مَرَّ بهم من المسلمين ثلاثاً، وأن لا يأووا جاسوساً. ولا يكتموا غشاً للمسلمين [ويوقرونهم في كل مكان][١٨] ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يمنعونهم من الدخول في الإسلام، وأن يقدموا للمسلمين من مجالسهم، ولا يتشبهوا بهم في شيء من لباسهم ولا فرق

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ و ب. الزيادة من: ج.
(٢) في ج: بأحد.
(٣) في ج: شرطنا لكم.
(٤) في ج: عليه.
(٥) في ج: في.
(٦) في ب: لا يستروا، وفي ج: ألا يشتروا.
(٧) في ب: هـ.
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٩) ساقط من: ج.
(١٠) في ج: ابن محرز.
(١١) في ج: وهو إعطاء.
(١٢) له، ساقط من: ب وج.
(١٣) في ج: ولا.
(١٤) في ج: ولا يمنع.
(١٥) في ج: من النزول.
(١٦) اللام ساقط من: ج.
(١٧) في ج: وأن.
(١٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

شعرهم، ولا يتكلموا بكلامهم، وَلاَ يَتَكَنَّواْ بِكُنَاهُمْ ولا يركبوا[١] السُّرُوَج. ولا يتقلدوا شيئاً من السلاح، ولا يحملوه معهم[٢]، ولا يتخذوه لأنفسهم. ولا ينقشوا [أسماءهم][٣] في[٤] خواتمهم بالعربية. ولا يبيعوا الخمر قط[٥]. ويجُزّوا مقادم رؤوسهم، ولا يشدوا الزنانير في[٦] وسطهم، ولا يظهروا الصليب ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يظهروا في طريق المسلمين نجاسة ويخفون النواقيس وأصواتهم، ولا يظهروا شيئاً من شعائرهم، ولا يتخذوا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ويطلعوا عليهم عدواً، ولا يضربوا مسلماً وَلاَ يَسُبُّوهُ. ولا يستخدموه. ولا يسمعوا[٧] شيئاً من كفرهم، وَلاَ يَسُبُّواْ أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يستنقصوه[٨]، ولا يظهروا نكاح ذات محرم ولا خمراً، ولا يبيعوه وأن يسكنوا المسلمين بينهم، فمتى أَخَلُّواْ بواحد[٩] من هذه اختلف في نقض عهدهم [والخروج عليهم][١٠] وقتلهم[١١]، هـ. فأنت ترى كيف اختلف العلماء في نقض عهدهم، وقتلهم وسبيهم إذا أخلُّوا بواحدة مما[١٢] [اشترط عليهم][١٣] فكيف بيهود لم يأتوا ولو بواحدة، بل وتمردوا على الأحكام الشرعية بسكنى البلاد السائبة، والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب[١٤] من العلماء في إذلالهم، فهؤلاء، ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم، لأن الخلاف المذكور في ذِمِيٍّ أَخَلَّ بشيء من ذلك من غير استمرار وتصميم، وأما من ترك شيئاً[١٥] واستمر على[١٦] تركه[١٧] وصمم عليه [بقصده][١٨]، فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبيه، لأن ذلك هو التمرد على الأحكام الشرعية، فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان، أو وزير أو

---

(١) في ج: ولا يركبوا على.
(٢) في ب: معه. وفي ج: مع أنفسهم.
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٤) في ج: على.
(٥) إسقاط قط من: ج.
(٦) في ج: أوسطهم.
(٧) في ب وج: ولا يُسمعوا مسلماً.
(٨) ولا يستنقصوه ساقط من: ج.
(٩) في ج: بواحدة.
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(١١) في ج أمام كلمة وقتلهم: وسبيهم.
(١٢) في ج: من هذه.
(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(١٤) في ج: تتسبب.
(١٥) في ج: شيئاً من ذلك.
(١٦) في ج: عليه.
(١٧) تركه ساقط من: ج.
(١٨) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.

قاضٍ، أو كبير، فقد انتقض عهده وحل ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة من الصَّغار والذلة. وأعظم ما يكونُ من التمرد على الأحكام الشرعية والأركان[1] لا سيما في هذا الزمان. ولقد أخبرني بسنده بعض الإخوان عن الإمام القيسي [إمام البيان][2]: أن يهودياً كان يخدم السلطان أبا عنان[3] فبلغ ذلك من الطغيان حتى[4] غير لبعض الصبيان شيئاً من القرآن، وذلك أنه مَرَّ بِصَبِيٍّ يَسْتَفْتِي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[5] فقال له اليهودي: «قل ومن يبتغ الإسلام ديناً، فأسقط الصبي لفظة غير. واستفتى فأنكر عليه المعلم وقال له: من قال لك هذا؟ فقال الصبي: رجلٌ مَرَّ الآن بنا، فقال له[6]: أريني إياه. فلم يزل الصبيُّ معه حتى لقيه فذهب المعلم الأستاذ. وكان السلطان يجود عليه بالخير إليه. وكان السلطان يرسل للأستاذ فرساً يأتيه عليها، فلما جاءته، ركب وجاءه، ولم يَحْكِ له شيئاً حتى أخذ في تجديد لوحه فاتفق أنه كان فيه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]. فلما قرأها السلطان قال له الأستاذ: أَعِدْ فأعادها فقال له: أعد فأعادها، فلم يزل يعيدها وهو يقول له[8]: أعد حتى وضع السلطان اللوح من يده، وخرج لصاحب السيف وقال له: إن أنا خرجت ولم نجد رأس ذلك اليهودي على يمين الطريق، وجسده على شماله، جعلتك في مكانه، ثم رجع لموضعه وأخذ في تجديد لوحه حتى فرغ وقام الأستاذ، وأتبعه السلطان يشيعهُ على العادة، وإذا باليهودي كما أمر، فقال له الأستاذ: ما هذا؟ فقال[9]: على تكرير الآية. فأخبره الأستاذ بالخبر، فلا[10] يتردد في ضرب رقاب هؤلاء اليهود المذكورين الأدجال من الدجالين الضالين المضلين، الذي اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين،

---

(١) الأركان ساقط من: ج.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من: ج.
(٣) أبو عنان سلطان الدولة المرينية توفي سنة: ٧٥٩هـ/١٣٥٨م.
(٤) في ج: أن.
(٥) سورة آل عمران، آية: (٨٥).
(٦) له ساقط من: ج.
(٧) سورة المائدة، آية: ٥١.
(٨) له ساقط من: ب.
(٩) في ج: فقال له.
(١٠) في ج: ولم.

فوالذي نفسي بيده لقتل يهودي واحد منهم، أعظم من غزوة في أرض المشركين، فخذوهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم وانهبوا أموالهم، واسبوا أولادهم، ونسائهم في كل[(١)] مكان، حتى يذعنوا للأحكام الشرعية أَتَمَّ إذعان، أداء[(٢)] الجزية والصغار، وجعل[(٣)] هؤلاء الأشرار في سلاسل وأغلال يطوفون بهم[(٤)] في سائر الأقطار على مرور الأعصار، إظهاراً لشرف النبي المختار، فمن حاول فَكَّ شيء من تلك السلاسل والأغلال عن رقبة أحد من الكفار، فقد حَادَّ الله ورسوله، وسيقلب معهم في النار ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾[(٥)]. فلا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

فويل لأولياء[(٦)] اليهود، هم الذين ينصرونهم في تعدي الحدود. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(٧)].

شعـر

بَـرِئْـتُ لِـلـرب الـوَدُودْ ... مِـنْ قُـرْبِ أَنْـصَـارِ الـيـهُـودْ
قَـوْمٌ[(٨)] أَهَـانُـواْ دِيـنَـهُـمْ ... وَأَكْـرَمُـواْ دِيـنَ الْـيَـهُـودْ
يَـكْـفِـي الـفـتـى مـن شـأنـهـم ... وَخُـبْـثِ أَصْـلِ صُـنْـعِـهِـمْ[(٩)]
أن قـطـعـوا عـن دِيـنـهِـم ... وَرَفَـعُـواْ دِيـنَ الْـيَـهُـودْ
يَـا لَـيْـتَـهُـمْ لَـوْ دَبَّـرُواْ ... فـي فـعـلـهـم وَنَـظَـرُواْ
وَسَـتَـرُواْ مَـا أَظْـهَـرُواْ ... مـن نـصـرهـم رَهْـطَ الْـيَـهُـودْ
أَلَـمْ يَـرَواْ كـيـف قَـفَـى ... رَبُّ الْـوَرَى فِـيـمَـا مَـضَـى
أَنْ لاَ يَـفُـوزَ بـالـرِّضَـى ... مَـنْ رَضِـيَـتْ عَـنْـهُ الْـيَـهُـودْ

---

(١) كل ساقط من: ج.
(٢) في ج: إنما.
(٣) وجعل ساقط من: ج.
(٤) في ج: بهما.
(٥) سورة المجادلة، آية: (٢٠).
(٦) في، أوب: أولئك، التصحيح من: ج.
(٧) سورة الرعد، آية: (٥).
(٨) في ج: قوماً.
(٩) في ج: طينهم.

لاَ شَكَّ أَنَّ الْحَقَّ نُورُ	فِي كُلِّ سُوقٍ لاَ يَبُورْ
يَنْصُرُهُ الرَّبُّ الْغَفُورْ	عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودْ
فَيَا إِلٰهِي بِالنَّبِيِّ	بِالمصطفى[1] الهادي التَّقِي
وَكُلِّ قُطْبٍ وَوَلِيِّ	شَمِّتْ بِأَنْصَارِ الْيَهُودْ
صُبَّ الْبَلاَ مِنْ فَوْقِهِمْ	وَأَمْحَقْ بَقَايَا رزقِهِمْ
وَأفْتَحْ لَهُمْ من مَحقِهِمْ	بَاباً إِلَى نَارِ الْوَقُودْ
إلاَّ الَّذِينَ اسْتَغْفَرُواْ	وَجَبَرُواْ مَا كَسَّرُواْ
وَبَيَّنُواْ مَا سَتَرُواْ	حَتَّى أَسْتَقَامَتِ الْحُدُودْ
فَاغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ مَضَى	وَآكْتُبْ[2] لهم منك الرِّضَى
واعجل عَلَى مَنْ قَضَا[3]	مِنْهُمْ بِجَنَّاتِ[4] الْخُلُودْ

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله والرّسولَ لعلكم تُرْحَمُونَ.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5].

نفعني الله بالقرآن العظيم، وبارك لي ولكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، واستغفر الله لي ولكم أجمعين. ولوالدينا ولسائر المسلمين أستغفره لأنه هو التواب الرحيم.

وسيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ مَا صنعت، أبوء لك بنعمتك عَلَيَّ وَأَبُوءُ بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم صَلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وآله

---

(١) في ج: المصطفى.
(٢) في ج: وهب.
(٣) في ج: بمن قضى.
(٤) في ج: بجنة.
(٥) سورة آل عمران، آية: (١٠٤ ـ ١٠٧).

وذرياته وأهل بيته أجمعين كما صليت على إبراهيم. وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وسلمّ تسليماً كثيراً دائماً طيباً مباركاً فيه إلى يوم الدين، عدد ما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون رضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين سبحان رَبِّكَ رَبِّ العز عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. انتهت الرسالة المباركة بحمد الله قال كاتبه: المكي بن الحاج أحمد الإدريسي نجل سيدي ومولاي مسعود بن أبي زيان أبقى الله فضله وغفر ذنبه وستر عيبه. نجز الكتاب المبارك المسمى: **بمصباح الأرواح في أصول الفلاح** لشيخ مشايخ الإسلام أحد العلماء الأعلام، آخر المجتهدين خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة القدوة الصالح الفهّامة السني الموحد البياني أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني. كان رحمه الله تعالى فصيح اللسان. صحيح الجنان أحد الأذكياء الأعيان ممن له بسطة في الفهم والتقدم مقداماً على الأمور جسوراً جدلياً محققاً نظاراً متمكن المحبة في سنة سيد المرسلين، وفي بُغْضِ اليهود والنصارى أعداء الدين. أَلَّفَ هذا الكتاب الرسالة النفيسة حين أحدث اليهود أَذَلَّهُمُ الله في توات بلاد الإسلام كنيسة، وأرسله للشيخين أبي عبد الله محمد السنوسي، وأبي عبد الله محمد بن غازي فقبلاه وأثنيا عليه وقرضاه. وكان جريء القلب في محبة الإسلام، شديد الوطأة على أعداء الله. ووقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته، حين قام على يهود توات وألزمهم الذلّ والصغار. بل قتلهم. وهدم كنائسهم. ونازعه في ذلك الفقيه: أبو محمد عبد الله العصنوني قاضي بلد توات. وأرسلوا في ذلك علماء مصر، وتونس، وتلمسان، وفاس. فكتب في ذلك الحافظ: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التونسي التلمساني كتابة مطولة يُصَوِّبُ فيها رأي الشيخ محمد المغيلي، وأبان فيها عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق، ووافقه على ذلك الشيخ الإمام عصريه أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وأثنى عليه غاية. مما كتب به السنوسي للمغيلي: من عبيد الله سبحانه محمد بن يوسف السنوسي الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان، وآخر الدهر من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

التي القيام بها في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية، والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بالإيمان السيد أبي عبد الله محمد المغيلي بن عبد الكريم حفظه الله تعالى بحفظ القرآن العظيم. أما بعد فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية، والشجاعة العلمية الإسلامية من تغيير أحداث اليهود، دَمَّرهم الله تعالى وأذلهم كنيسة في بلاد الإسلام. وَحِرْصِكُمْ على هدمها، وتوقف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء. فبعثتم مستنهضين همم العلماء فيه فلم أر مَنْ وَفَّقَ لإجابة المقصد، وبذل وُسْعِهِ في تحقيق الحق، وشفاء الغلة، وفرج على أهل الإيمان في المسألة، وما بالي لقوة إيمانه ونصوع إيقانه. بما يشير إليه الوهم الشيطاني ولم يلتفت لمداهنة ممن تتقى شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق عَلَمُ الأعلام، الحجة أبي عبد الله التنسي مَتَّعَ الله به وجزاهُ خيراً فإنَّهُ في أَمَدٍّ للإبانة الحق ونشر أعلامه، النفس وحقق نقلاً وفهماً وبالغ فائداً من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس إلى آخر كلامه.

وممن أجاب في المسألة الشيخ الإمام أبو عبد الله الرصاع مفتي تونس الحافظ جلال الدين السيوطي بمصر ومن بعض ما كتبه به قوله:

أحبابنَا نُوب الزمان كثيرة ... وامن منها رِفْعَةَ السُّفَهَاءِ
فمتى يفيقُ الدَّهْرُ من سَكَرَاتِه ... وَأرى اليهودَ بِذِلَّةِ الفقهاءِ

وممن أجاب في المسألة أبو مهدي الماواسي مفتي فاس، وابن زكريا مفتي تلمسان، والقاضي أبو زكرياء يحيى بن أبي البركات الغماري التلمساني. وعبد الرحمان بن سبع التلمساني وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات أمر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي جماعته فلبسوا آلات الحرب. وقصدوا كنائس اليهود. وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها. ولم يتناطح فيها عنزان ثم قال لهم: من قتل يهودياً، فله عَلَيَّ سبع مثاقيل وجرى في ذلك أمور ونظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي ﷺ. وفي ذَمّ اليهود ومن ينصرهم أذلهم الله وخذلهم، ثم رحل الشيخ إلى بلد: أهير ودخل بلد تكره واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به. ثم دخل بلد كَنُوَ، وكشين من بلاد السودان واجتمع بصاحب

كَنْوَ واستفاد عليه، وكتب له رسالة في أمور السّلطنة يَحُضُّهُ على اتباع الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقولهم أحكام الشرع وقواعدُه، ثم رحل لبلاد التكرور فوصل إلى بلدة كَاغُوَا واجتمع بسلطانها السكي محمد الحاج، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وألف تأليفاً أجابه فيه عن مسائل وبلغه هُنَاكَ قتل ولده بتوات من جهة اليهود أذلهم الله ومن نصرهم، فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات الذين بِكَاغُوا يومئذ فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك الشيخ الفقيه أبو الثنا محمود بن عمر الصنهاجي السوفي التنبكتي، إذ لم يفعلوا شيئاً، وكان حينئذ القاضي فرجع عن ذلك، وأمر بإطلاقهم، ورحل لتوات فأدركته المنية بها، وكانت وفاته هناك سنة: تسع وتسعمائة رحمه الله وأرضاه، وجعل الجنة منزله ومأواه.

وَحُكِيَ أن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم قبحهم الله تعالى مشى لقبره فبال عليه فعمي مكانه. انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه والحمد لله رب العالمين.

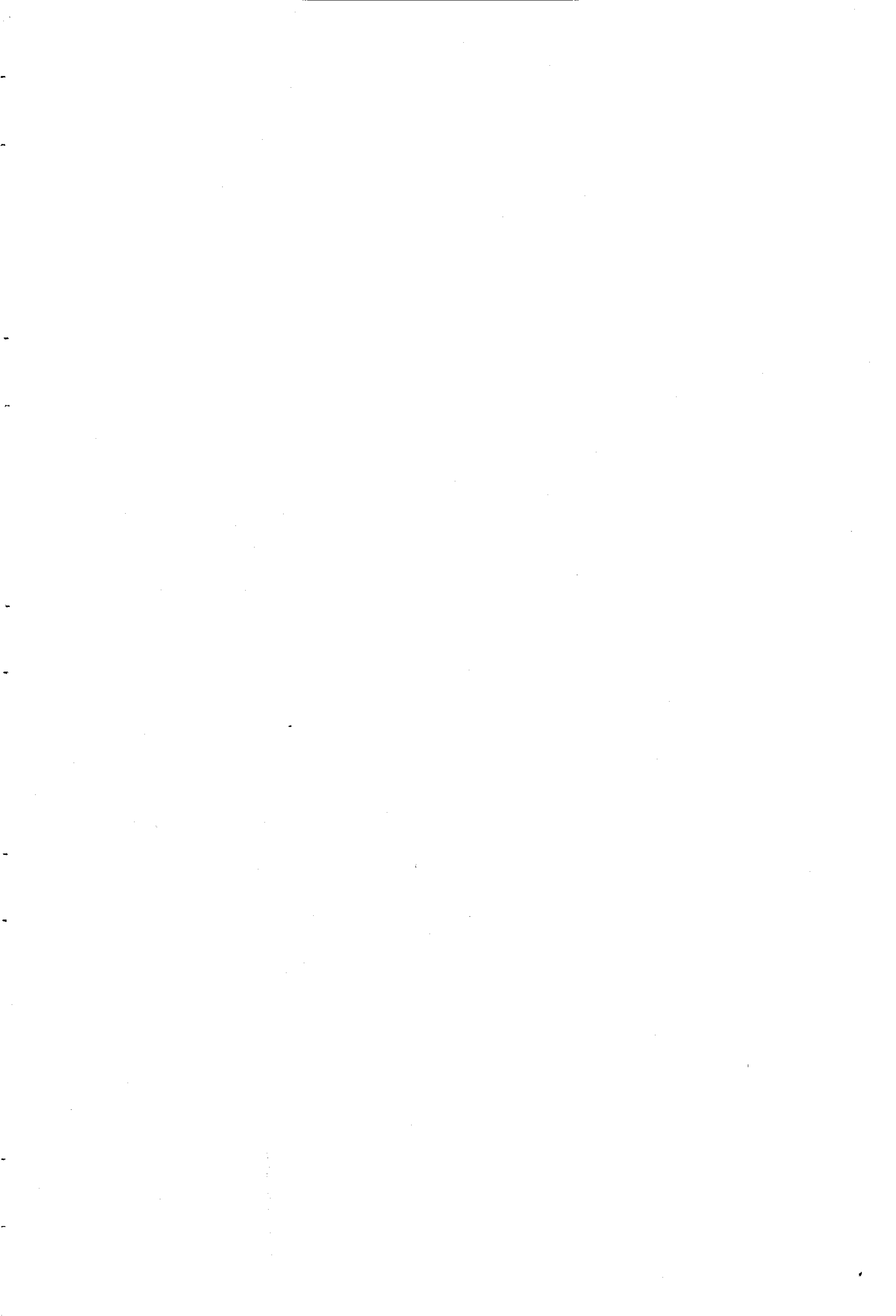
وكان الفراغ منه يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة في ثامن عشر صفر الخير عام سبعة بموحدة وثمانين ومائتين وألف ١٩٨٧هـ هكذا. هـ انتهى مَا وُجِدَ بلفظه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.



الرسالة الثانية

الإعلام بما أغفله الأعوام

لأبي القاسم بن محمد مرزوق
الملقب بابن عظوم التونسي
كان حياً سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م



ترجمة المؤلف[1]

اسمه، ونسبه، وكنيته، هو: العلامة الفقيه الإمام أبو القاسم بن محمد بن مرزوق، بن عبد الجليل بن عظوم القيرواني المرادي أبو الفضل.

أصله: إتفق مترجموه أنه من تونس، وولادته بمدينة القيروان التي نشأ بها ثم انتقل إلى مدينة تونس العاصمة الحالية. وأقام بها سنين عديدة وتولى الفتيا بها، واحترف فيها بالشهادة، ولما أسندت إليه خطة الفتيا لم يكن يأخذ عليها أجر إلا قدر ما يكفيه ليومه، مع أنه كان فقيراً ذا عيال.

معالم حياته: عاش هذا الإمام رحمه الله تعالى في تونس كما سبق، يُعَلِّمُ ويُفتِي، ويناظر ويؤلف، فاشتهر في الأوساط العلمية فقيهاً مُحَنَّكاً. فقد كان كل فقهاء الوقت عيال عليه وهو عمدتهم، ومن بعد فكتبه هي عدتهم. أخذ عن أسلافه بالقيروان، وأخذ عنه الجم الكثير من الطلبة، وقد كان جيد القريحة مبثاً لِقَوْمِهِ بالنصيحة، وانتفعت به الحاضرة، وآب إلى بلده القيروان، ففرحت لإيابه أوطانها، وأينعت بعلومها عيدانها، ثم بعد ذلك لا يعلم هل رجع إلى الحاضرة وتوفي بها، أو بقي على إقامته بالقيروان، وله نوادر تحكى عنه في أيام فتياه.

آثاره العلمية: للمؤلف رحمه الله تعالى مصنفات نفيسة تنبي عن تضلعه في الفقه، وتشهد له بعلو مكانته وقدره منها:

١ ـ برنامج الشوارد على الشامل اعتمده المُفتُونَ والقضاة[2].

---

(١) انظر ترجمة المؤلف في المراجع التالية.
ـ تكميل الصلحاء والأعيان لمحمد بن صالح عيسى الكناني ص: ٢٥، ٢٦.
ـ شجرة النور الزكية: ١/ ٢٩٢ رقم ١١١٧.
ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة ٨/ ١٢٤.
ـ أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور: ٢/ ١٤٢، ١٤٣.

(٢) توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد: ٣٨٩١د. وبالخزانة الوطنية بتونس تحت عدد: ٧١٠٠، ٧١٠١.

٢ ـ برنامج وثائق الفشتالي.

٣ ـ برنامج مختصر خليل.

٤ ـ ورسالة في المعرفة والتعريف.

٥ ـ وأجوبة على نوازل في الفقه سُئِلَ عنها في نحو ثلاثين مجلداً محررة مع إطناب.

٦ ـ الإعلام بما أغفله الأعوام[1].

٧ ـ رسالة في العقيدة[2].

٨ ـ كتاب في الفتاوي الفقهية[3].

وفاته: لم تُحدد سنة وفاته عند مترجميه، فكلهم اتفقوا أنه كان حَيًّا بعد سنة ١٠٠٨هـ و١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م. بينما الكناني صاحب كتاب تكميل العلماء والأعيان قال: «والذي يترجح من شقي الاحتمال ما أخبرني به أحد المشايخ العظاظمة أنه مات بالقيروان بعد المائة العاشرة. أي بعد سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م ودفن بها.



(١) يوجد من هذه الرسالة: نسختان بالخزانة العامة الرباط عدد ٦٦٤ ـ ٢٨٨٥د.

(٢) ضمن مجموع تحت عدد: ٢٨٨٥د. الخزانة العامة الرباط.

(٣) منه نسخة بالخزانة العامة الرباط تحت عدد: ٢٨٢٥.

وصف الكتاب ومكان وجوده

لقد بذلت جهداً في تصفح فهارس المخطوطات سواء منها الوطنية، أو غيرها، فلم أعثر إلا على نسختين من مصنف كتاب «الإعلام بما أغفله الأعوام». وهما موجودتان: بالخزانة العامة بالرباط بلد المغرب. وقد اعتمدتهما في التحقيق.

وصف المخطوطتين

١ ـ **النسخة الأولى**: تحمل عدد: ٦٦٤د قد اتخذتها أصلاً ورمزت لها بحرف: (أ). وهذا يرجع لعدة أسباب منها:

ـ وضوح خط النسخة وتناسقها.

ـ قلة التصحيف فيها، وسلامتها من الأخطاء.

* وتقع هذه النسخة في: سبع صفحات، في كل صفحة ٢٣ سطراً في المتوسط، ومتوسط كلمات كل سطر ما بين ٩ و١١ كلمة.

ـ خطها خط مغربي جيِّد ومقروء.

ـ طول النسخة: ٢٠ سم.

ـ عرضها: ١٤ سم.

ـ خالية في ديباجتها وفي خاتمتها من اسم: الناسخ. والسنة التي نسخت فيها. لكن كتب في مقدمتها نسبة الكتاب لمصنفه في قول بعد التصلية والتسليم: هذا كتاب الإعلام بما أغفله الأعوام تأليف الشيخ الفقيه العالم: أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عبد الجليل بن فندار المرادي عرف بابن عظوم.

ـ خلو النسخة من الاستدراكات على حواشيها.

ـ وقوعها ضمن مجموع تبتدأ من ورقة: ١/ب إلى ورقة: ٤/ب.

ـ مسفرة تسفيرة جلدية لونها بني يميل إلى السواد.

٢ ـ النسخة الثانية: وهي التي رمزنا لنا بحرف: (ب) وتحمل رقم ٢٨٨٥د، ضمن مجموع. تبتدأ من صفحة ٢١١ إلى صفحة: ٢١٧. توجد بالخزانة العامة أيضاً.

- عدد صفحاتها: ٧ صفحات.
- مسطرتها: ٢٠ سم طولاً و١٥ سم عرضاً.
- عدد سطورها: ٢١ سطراً.
- متوسط عدد الكلمات ما بين ٩ و١١ كلمة في السطر.
- استعمال الحبر الأسود كتابة. والحبر الأحمر نادراً.
- خالية من ذكر اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

منهجي في التحقيق:

منهجي في تحقيق هذه الرسالة لا يختلف عن سابقه فقد خرجت الآيات الواردة في نصها على المصحف الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على كتب السنة، والمعاجم والمسانيد وغيرها.

وتكلمت على الأحاديث وذلك بالاعتماد على الكتب المختصة بذلك.

وهذا العمل كله، قمت به بعد أن تصفحت هذه الرسالة ووجدت أنها تستحق أن تُحقق وتنشر وتضاف لسابقتها لاشتمالها على موضُوع مشابه لرسالة: مصباح الأرواح. والله الموفق.



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما

هذا كتاب اعلام الاعلام بما غفله الاعوام تأليف الشيخ الفقيه العالم ابي القاسم بن محمد عمر بن عبد الجليل ابن قنفذ الراشدي عرف بابن عظوم غفر الله له ولوالديه انه هو الغفور الرحيم امين

الحمد لله الذي خص دين الاسلام على كل دين وقال تعلى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وفضل اهله على ساير الامم بلا الباس وقال تعلى كنتم خير امة اخرجت للناس وزكاهم تزكية غبطهم بسببها الامم وكبت بها الشيطان انه كان خسيء (؟) عنيدا وقال تعلى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وجعل علماءهم كانبياء بني اسرايل فيما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وعدلهم بقوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير من علم وعلم وعلى اله وصحبه خير ال وصحب واكرم ... وبعد فقد وجب على الاعلام بما غفله الاعوام لانه كما يجب على الجاهل التعلم كذلك يجب التعليم على العالم قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو اية وبعد حصول العلم يجب على كل من حصل له انفاذ علمه والعمل به والا كان عليه حسرة

الصفحة الأولى من مخطوط حرف (أ) وعدده: ٦٦٤د.خ.ع.

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه فمن وادهم
فقد سلب عنه وصف ثبات الإيمان في قلبه [illegible]
[illegible] الإيمان بالتصريح الذي أخذ بالمفهوم من الآية السابقة
وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود
وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم
أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون دلت هذه الآية على أن
[illegible] تصف بهاذه الصفات التي منها عدم التناهي عن
المنكر وموالات الذين كفروا أوجبوا لأنفسهم سخط الله
تعالى وتوجب الخلود في العذاب ثم نفى الإيمان تصريحا
عمن يتخذ الكفار أولياء بقوله ولو كانوا يؤمنون بالله
الآية وعلى الجملة فإذلالهم من واجب ومعاداتهم
حكم لازب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سموهم
ولا تكنوهم وأذلوهم ولا تظلموهم [illegible] سيما اليهود
منهم قال الله تبارك وتعالى لتجدن أشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود الآية وفي هذا القدر كفاية لمن
له إيمان وهداية لمن له بصيرته إيقان وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم [illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوط (أ).

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الشيخ الاستاذ جامعا ابو القاسم بن محمد مرزوق
ابن عبد الجليل بن بندار القرادي عرف بابن عظوم رحمه
الله للتعلم والعمل به

الحمد لله الذي فتح بين الاسلام على كل دين فقال تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
وفضل الله على ساير الامم بلا الباس فقال تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس وذلك من تزكية عمهم جميع الامم
وكبت بطلا الشيطان انه كان حسودا عنيدا وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وجعل علماءهم كانبياء بني اسرائيل فيما اخبر
به رسوله وعدلهم بقوله يحمل هذا العلم من كل خلف
عدوله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير
من علم وعلم وعلى اله وصحبه خير الاصحب واكرم
وبعد فقد وجب الاعلام بما اغفله العوام لانه كما
يجب على الجاهل التعلم كذلك يجب على العالم التعليم
قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما
بلغوا عني ولو اية وبعد حصول العلم يجب على كل من تعلم

الصفحة الأولى من مخطوط (ب) وعدده: ٢٨٨٥د.خ.ع.

المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق وقال تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه الآية فمن وادّهم
فقد سلب عنه وصف كتابة الإيمان في قلبه ونفى عنه الإيمان
بالتصريح الذي أخذ بالمفهوم من الآية السابقة وقال تعالى
لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت
لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
ولو كانوا يؤمنون بالله ~~واليوم الآخر~~ والنبي وما أنزل إليه ما
اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون فهذه
الآية على لعن من اتصف بهذه الصفات التي منها عدم النهي
عن المنكر وموالاة الذين كفروا وأن موالاتهم تسخط الله
تعالى وتوجب الخلود في العذاب ثم نفت الإيمان تصريحا
عمن يتخذ الكفار أولياء بقوله ولو كانوا يؤمنون بالله الآية وعلى الجملة
فإن الأمر واجب وهذا أنهم حكم لازب. قال عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه سبوهم ولا تكنوهم وأذلوهم ولا تظلموهم
شيئا اليهود منهم قال الله تبارك وتعالى لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود الآية وفي هذا الفصل كفاية لمن له إيمان
وهداية لمن له بصيرة إيقان وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من حرف (ب).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما.

هذا كتاب الإعلام بما أغفله الأعوام تأليف: الشيخ الفقيه العالم أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عبد الجليل بن فندار المرادي عرف بابن عظوم غفر الله لنا وله، وإنه هو الغفور الرحيم أمين.

الحمد لله الذي فضل دين الإسلام على كل دين فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(١)].

وفضل أهله على سائر الأمم بلا إلباس. فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٢)].

وزكاهم تزكية غبطها جميع الأمم وكبت بها الشيطان إنه كان حسوداً عنيداً فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٣)].

وَجَعَلَ علماءهم كأنبياء بني إسرائيل فيما أخبر به رَسُولُ [ﷺ تسليماً كثيراً][(٤)]، وَعَدَّلهم بقوله: «يَحْمِلُ هَذا الْعِلْمَ مَنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُوُلُهُ»[(٥)]

---

(١) سورة آل عمران، آية: (٨٥). (٢) سورة آل عمران، آية: (١١٠).

(٣) سورة البقرة، آية: (١٤٢). (٤) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.

(٥) الحديث أخرجه: أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه التمهيد: ١/٥٨، ٥٩ من طريق بقية بن الوليد. ولفظ الحديث بأتمه: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عُدُلُهُ. ينفونَ عنه تحريف الغاليين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين».
في ثلاث روايات إحداهم عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة والثانية والثالثة عن إبراهيم بن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة والثانية والثالثة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري.
=

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير من عُلِّمَ وَعَلَّمَ، وعلى آله

= ـ وفي كشف الأستار عن زوائد البزار لنور الدين بن أبي بكر الهيثمي حديث (١٤٣) من طريق خالد بن عمرو قال عنه البزار: مُنْكَرُ الحديث، قد حدث بأحاديث لم يتابع عليها وهذا منها. وهي رواية عبد الله بن عمر وأبي هريرة.
ـ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي بكر الهيثمي السابق الذكر عن أبي هريرة. وعبد الله بن عمر: ١/ ١٤٠.
ـ وكتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات للإمام أبي الفرج بن الجوزي (٤). ١/ ٧.
وابن عدي الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٤٥٧، ٤٥٨ وقال: وهذه الأحاديث التي رواها خالد عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب كلها باطلة ولسان الميزان لابن حجر حديث (٢١٣) ١/ ١١١ برواية: إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال عنه الحافظ: تابعي مُقِلٌ ما علمته واهياً أرسل حديث: «يحمل هذا العلم من كُلِّ خلف عُدُولُه». رواه غير واحد عن معان بن رفاعة. ومعان ليس بعمدة ولا سيما أتى بواحد لا يُدْرَى مَنْ هُو. هـ ١/ ١١١. انظر: ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن العذري في ميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ٤٥ ترجمة ١٣٧ ـ والكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/ ٣٢٨ ترجمة ١٨٠٨.
والعراقي في التبصرة والتذكرة ١/ ٢٩٧، ٢٩٨. وقال في تعليقه عن هذا الحديث: أورده العقيلي في الضعفاء في ترجمة معان بن رفاعة. وقال: لا يعرف إلا به.
ورواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل وابن عدي في مقدمة الكامل، وهو مرسل، ومعقل ضعيف. وإبراهيم الذي أرسله قال فيه ابن القطان: لا نعرفه البتة في شيء من العلم غير هذا. وفي كتاب العلل للخلال أن أحمد سُئِلَ عن هذا الحديث فقيل له: كأنه كلام موضوع فقال: لا هو صحيح فقال له ممن سمعته؟ قال: من غير واحد. قيل له: من هم؟ قال: حدثني به مسكين، إلا أنه يقول: عن معان، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال أحمد: ومعان لا بأس به وثقه ابن المديني أيضاً، قال ابن القطان خفي على أحمد من أمره ما علمه غيره، ثم ذكر تضعيفة عن ابن معين، وأبي حاتم، والسعدي وابن عدي وابن حبان هـ.
ـ وقد ورد هذا الحديث مرفوعاً مسنداً من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي أمامة، وجابر بن سمرة رضي الله عنهم، وكلها ضعيفة. انظر: التبصرة ١/ ٢٩٧، ٢٩٨.
وورد أيضاً في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٣٦.
وزاد المسير في علم التفسير للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ٥/ ٣٠٥.
وكنز العمال حديث (٢٨٩١٨) و(٢٨٩١٩) ١٠/ ١٧٦ برواية أبي هريرة ـ وإبراهيم بن عبد الرحمن العذري.
والبداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٣٣٧ وقال: هذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف.

وصحبه خَيْرِ آلٍ وَصَحْبٍ وأكرم. وبعد فقد وجب الإعلام بما أغفله الأعوام لأنه كما يجب على الجاهل التعلم، كذلك يجب التعليم على العالم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[١].

وقال رسولُ الله ﷺ[٢]: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة»[٣].

وبعد حُصُولِ العلم، يجب على كُلِّ من حصل له إنفاذُ علمه والعملُ به، وإلا كان عليه حسرة وندامة يوم القيامة، وكان شاهداً عليه لا له وكان له خصماً[٤].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٥] وذَمَّ قوماً، وأبعدهم بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٦]. وقال رسول الله ﷺ تسليماً: «لَتَامُرُنَّ بالمعروفِ وَلَتَنْهَوْنَّ عَنِ المنكر أو لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عليكم شِرَارَكُمْ فَيَدْعُواْ خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٥٨).

(٢) في ب: زيادة تسليماً.

(٣) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٥٠) باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٦١) من رواية عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آية، وَحَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فليتبوَّأ مقعدهُ من النار».
- والترمذي في كتاب العلم (١٣) باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل حديث (٢٦٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- والدارمي في سننه: ١/ ١٣٦ - وأحمد في مسنده حديث (٦٤٩٣) ٢/ ٢١٧.
- وعبد الرزاق في مصنفه حديث (١٠١٥٧) ٦/ ١٠٩ وحديث (١٩٢١٠) ١٠/ ٣١٢.
- والبغوي في مصابيح السنة حديث (١٤٧) ١/ ١٦٦.

(٤) قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما أخافُ على نفسي أن يُقَالَ لِي مَا عَلِمْتَ؟ ولكن أخاف أن يُقَالَ لي ماذا عملت؟ سنن الدارمي: ١/ ٨٢ ثم قال في نفس الصفحة: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه».

(٥) سورة آل عمران، آية: (١٠٤).

(٦) سورة المائدة، آية: (٧٩).

(٧) الحديث أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط حديث (١٤٠١) ٢/ ٢٢٤ وقال: لم يرو هذا الحديث عن ابن عجلان إلا حبان، تفرد به بكر بن يحيى بن زبان بزاي مفتوحة =

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: قلنا يا رسول الله متى لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر؟

قال: «إذا كَانَ الْبُخْلُ فِي خِيَارِكُمْ، وَإِذَا كَانَ الْحُكْمُ فِي أَرَاذِلِكُمْ. وَإِذَا كَانَتِ الْمُدَاهَنَةُ في كِبَارِكُمْ وَإِذَا كَانَ الْمُلْكُ في صِغَارِكُمْ»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان»[٢].

= وموحدة ثقيلة. قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول من التاسعة: ١/ ١٣٦ ولكن قال في حبان بن علي العنزي ضعيف وكان له فقه وفضل. التقريب: ١/ ١٨٢.

- والحافظ الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، ذكره في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٦٦. برواية أبي هريرة، وقال رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، وفي حبان بن علي وهو متروك. وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها.

- وفي كنز العمال حديث (٥٥١٩) ٣/ ٦٦ برواية أبي هريرة.

- وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم: (٧٢٢٣) ص: ٤٤٤ وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط ورمز لحسنه، ولقد أعله الحافظ الهيثمي كما سبق بأن فيه حبان بن علي برواية أبي هريرة أيضاً.

- وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب (٢٠) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠٠٤) ٢/ ١٣٢٧ من حديث عائشة ولفظه: «قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم» وفي سنده هشام بن سعد المدني صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. التقريب: ٢/ ٢٦٦ وأقول إن الحديث من الزوائد إذ لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

- وأحمد في مسنده حديث (٢٣٣٨٩) ٥/ ٤٥٧ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، بلفظ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوماً تدعونه فلا يستجاب لكم. وحديث (٢٣٣٦٣) ٥/ ٤٥٤ وفيه: «أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنّهُ فلا يستجاب لكم».

(١) هذا الحديث أخرجه العقيلي في كتابه الضعفاء الكبير عن ترجمة: الزبير بن عيسى الحميدي والأسدي رقم (٥٤٧) ٢/ ٩١. وفيه: «إذا كان العلم في رُذَلِكُمْ بدل الحكم». وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ، ثم قال عند عقب الحديث، لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به. ونقل الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال تضعيفه عن العقيلي: ٢/ ٢٥٨ رقم (٢٨٤٦). وهذا الحديث ساقط من نسخة: ب.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.. حديث (٤٩). وفيه وذلك أضعف الإيمان. برواية أبي سعيد الخدري من طريق قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب. =

فأما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[(١)] فمعناه عند علمائنا رضي الله تعالى عنهم: أصلحوا أنفسكم بأداء الواجبات وترك المعاصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم بعد النهي عنادُهم وإصرارهم بالمعصية. أو لا يضر المهتدي إذا نهى ضلال[(٢)] الضال باعتبار وقوع شيء من إثم الضال عليه وقال علماؤنا رضي الله تعالى عنهم: الحكم الشرعي إذا استوى فيه الخاص والعام، فالعالم وغير العالم فيه سواء كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يشترط في الناهي أن يكون غير مرتكب لذلك المنكر بل يغيره[(٣)] ولو كان مرتكباً له، لأن تركه للمنكر[(٤)] ونهيه عنه، فرضان متميزان ليس لمن[(٥)] يترك أحدهما أن يترك الآخر. ولنرجع إلى المقصود من هذا الموضوع وهو مسألة الجزية، وأحكام أهل الذِّمة لما مَسَّت إليه الحاجةُ فأقول:

= ـ وأبو داود في كتاب الملاحم (١٧) باب الأمر والنهي حديث (٤٣٤٠) من طريق هناد بن السَّرِي عن أبي معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء، برواية أبي سعيد الخدري ولفظه: «من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده». وقطع هنّاد بقية الحديث. وفَّاه ابن العلاء: «فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ـ والترمذي في كتاب الفتن (١١) باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان، أو بالقلب حديث (٢١٧٩) وفيه: «ومن لم يستطع» وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ـ وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة العيدين (١٢٧٥) ١/ ٤٠٦، وفي كتاب الفتن (٢٠) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٤٠١٣) ٢/ ١٣٣٠.

ـ والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب: تفاضل أهل الإيمان: ٨/ ١١١، ١١٢.

ـ وأحمد في مسنده حديث (١١١٥٦) ٣/ ٢٥ وحديث (١١٤٦٦) ٣/ ٦١ ـ وحديث (١١٤٩٨) ٣/ ٦٥ وحديث (١١٥٢٠) ٣/ ٦٧.

ـ والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح حديث (٥١٣٧) ٣/ ١٤٢١).

ـ والبداية والنهاية لابن كثير: ٢٥٨/٨ دار الفكر طبعة ١٩٧٨.

ـ وكنز العمال حديث (٥٥٢٤) ٣/ ٦٦.

ـ والتمهيد لابن عبد البر ١٠/ ٢٦٠ مطبعة الشويخ ديسبريس تطوان المغرب السنة ١٩٨١.

(١) سورة المائدة، آية: (١٠٥).
(٢) في ب: إضلال اسم مصدر.
(٣) في ب: يغير.
(٤) في ب: المنكر.
(٥) في ب: أن.

اعلم أن الجزية[١] تُضرب على الكافر الذي كفره أصلي يصح سبيه ولا تضرب على المرتد باتفاق، لأنه لا يقر على ردته بل يقتل بعد الاستتابة ثلاثاً. ولا من كفار قريش اتفاقاً أيضاً، لأن الجزية شرعت لإذلال الكفار[٢].

قال الله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[٣].

[٤]قال البخاري رضي الله تعالى عنه: يعني[٥] أذلاء وقريش لا يذلون لمكانهم من رسول الله ﷺ تسليماً.

وفي مشركي العرب قولان[٦]:

والكافر الذي تضرب عليه على قسمين: إما مأخوذ عنوة[٧] وقهراً، وهو الذي يؤديها لأمنه باستقراره تحت حكم الإسلام، وصونه، سواء أقام ببلده بعد أن غلبه المسلمون. أو أتى ليستقر بها تحت حكمنا. وإما مصالح وهو الذي يؤديها على بقائه ببلده تحت حكم الإسلام، وقدرها على كل

---

(١) الجزية بالكسر: خراج الأرض، وما يؤخذ من الذمي جمع جزي، وجزي، وجزاء، انظر القاموس المحيط مادة جزي ص: ١١٤٣. وقال ابن حجر: والجزية من جزأت الشيء إذا قسمته، ثم سهلت الهمزة وقيل من الجزاء أي لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام، أو من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه. وقال العلماء: الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم ويحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام، واختلف في سنة مشروعيتها فقيل سنة ثمان، وقيل في سنة تسع للهجرة بعد فتح خيبر. انظر: فتح الباري ٦/٣١٨ دار الكتب العلمية ٦/١٩٨٩. وهي تحرم على المسلم لقوله ﷺ: «ليس على مسلم جزية» أبو داود حديث (٣٠٥٣).

(٢) في أ: الكفر.

(٣) سورة التوبة، آية: (٢٩).

(٤) في ب: وقال.

(٥) إسقاط كلمة تعالى، وكلمة يعني من: ب.

(٦) في ب، زيادة: والمختار لا تضرب عليهم لأن رسول الله ﷺ عربي أولاً. والجزية إكراماً للعرب لأن رسول الله ﷺ منهم.

(٧) عنوة قهراً قاموس المحيط مادة عنو ص: ١١٨٤.

جمجمة في كل عام على العنوي أربعة[١] دنانير ذهباً شرعية، زنة كل دينار[٢] اثنان وسبعون حبة شعير من وسطه مقطوع الذيل وأربعون درهماً شرعية كل درهم خمسون حبة وخُمسُمَا حَبَّةٍ من حب الشعير. ولا تضرب[٣] على الراهب الذي لا يقاتل[٤]، ويخفف عن الفقير[٥] بقدر فقره فإن عجزا أصلاً سقطت ووقت قبضها منهم آخر العام، وعلى الصلحي ما شرط عليه كثر أو قلَّ، وأقلها الذي يحرم به على الإمام قتالهم ما تقدم على العنوي ويمنع أهل الذمة من ركوب الخيل[٦]. والبغال، والركوب بالسروج ويمنعون من المشي في جادة الطريق وهي وسطه. قال رسول الله ﷺ: «إذا لقيتموهم بطريق فالجؤوهم إلى أضيقها»[٧].

(١) ثبت أن النبي ﷺ أمر بأخذ الجزية من المجوس وكانت تؤخذ على عهده ديناراً من كل حالم، يعني محتلماً ديناراً أو عدله من المعافري وهي ثياب تكون باليمن، انظر حديث هذا المعنى في كتاب الخراج باب في أخذ الجزية حديث (٣٠٣٨) سنن أبي داود وقد ضربها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وهذا للموسر وعلى أهل الورِق بكسر الراء أربعين درهماً، انظر الموطأ كتاب الزكاة باب جزية أهل الكتاب والمجوس حديث (٤٤) ص: ٢٦٤ منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب. وانظر كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم ص: ٥٤.

(٢) في ب: الذهب.

(٣) قال أبو حنيفة: ولا تؤخذ أي الجزية من مرتد ولا دهري ولا عابد وثن، وأخذها أبو حنيفة من عبدة الأوثان إذا كانوا عجماً ولم يأخذها مِنْهُمْ إذا كانوا عرباً. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وكتابهم التوراة والإنجيل ويجري المجوس مجراهم. في أخذ الجزية منهم وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص: ١٤٣ دار الفكر.

(٤) في ب: لم يقاتل.

(٥) اختلف الفقهاء فق قدر الجزية، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفه ثلاثة أصناف: أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً، وفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً فجعلها مقدرة الأقل والأكثر ومنع من اجتهاد الولاة فيها، وقال مالك: لا يقدر أقلها ولا أكثرها وهي موكولة لاجتهاد الولاة في الطرفين، انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص: ١٤٤.

(٦) في الأحكام السلطانية ص: ١٤٥، أن يمنعوا من ركوب الخيل عناقاً وهجاناً ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.

(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٩) باب يضطر أهل الكتاب في الطريق إلى أضيقها برواية أبي هريرة بلفظ: «إذا لقيتم المشركين في الطريق فلا تبدأوهم بالسلام واضطروهم =

ويلزمهم لبس يميزوا به عن[١] المسلمين، فلا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ويلزمهم أن يوقروا المسلمين ويعظموهم، ويقوموا لهم عن مجالسهم إذا أرادوها ويمنعوا من إظهار الخمر والخنزير، وحملها إليهم من قرية إلى قرية، ووجب كسرها إن ظهرنا عليها، ويضرب فاعل ذلك وتراق، ويكسر الناقوس إن ظهرنا عليه، ويؤذب السكران منهم وإن أظهروا صلبانهم في أعيادهم أو استسقائهم كسرت وأدبوا.

وكذلك حيث أظهروها أو أظهروا كتبهم في طريق المسلمين أو أسواقهم، أدبوا في جميع ذلك، ولا يرفعوا أصوات نواقيسهم، ولا أمواتهم بالقراءة في كنائسهم ولا بحضرة المسلمين، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم ولا يتعلمون[٢] قرآناً، ولا يدفعون[٣] بنيانهم فوق بنيان المسلمين، ولا يقعدوا[٤] بجزيرة العرب وهي مكة، والمدينة واليمامة، واليمن أرض العرب لوصيته عليه الصلاة والسلام عند موته بقوله: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٥].

= إلى أضيقها» حديث (١١١١) ص: ٣٢٥.
- والترمذي في كتاب السير (٤١) باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب حديث (١٦٠٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح وقال: معنى هذا الحديث «لا تبدأوا اليهود والنصارى» قال بعض أهل العلم: إنما معنى الكراهية لأنه يكون تعظيماً لهم وإنما أُمِرَ المُسْلِمُونَ بتذليلهم. وكذلك إذا لقي أحدهم في الطريق فلا يترك الطريق عليه، لأن فيه تعظيماً لهم.
- وأحمد في مسنده حديث (٧٥٨٤) ٢/ ٣٥٢ ط/ دار الكتب العلمية ولفظه: «إذا لقيتموهم في طريق فلا تبدؤوهم، واضطروهم إلى أضيقها» برواية أبي هريرة من طريق سهيل بن أبي صالح.
- وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: ٥/ ٣٢٣ دار الكتب العلمية ط١ سنة ١٩٩٧.

(١) في ب: من.
(٢) في ب: ولا يتعلموا.
(٣) في ب: ولا يرفعوا.
(٤) في ب: ولا يقروا.
(٥) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير (١٧٥) باب جوائز الوفد (١٧٦) باب هل يستشفع إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم حديث (٣٠٥٣) برواية ابن عباس. ولفظ الحديث بأتمه عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضت دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم =

ووجب تعزيرُ الذمي[١] وهو تأديبه إذا ترك الزنار[٢]، أو أظهر سكرهم أو أظهر شرائعهم وعقائدهم، أو بسط لسانه في مجالس المسلمين ومجتمعهم أو أعلى صوته على صوت المسلم عن طريق المرافعة، وينتقض عهده إذا قاتل المسلمين أو امتنع عن أداء الجزية أو تمرد على الأحكام، أو قرأ كتابنا الفرقان، أو حديث نبينا ﷺ تسليماً، أو تعلم ذلك لأنه نجس قال الله تعالى:

= الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني والذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة» وقال يعقوب بن محمد، سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن والعوج أول تهامة ثم انظر: حديث (٣١٦٨) كتاب الجزية والموادعة.

باب إخراج اليهود من جزيرة العرب عن ابن عباس وحديث (٤٤٣١) من كتاب المغازي (٨٤) باب مرض النبي ﷺ ووفاته مع اختلاف يسير في لفظهما.

ـ ومسلم في كتاب الوصية (٥) باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه حديث (١٦٣٧).

ـ وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب حديث (٣٠٢٩) برواية ابن عباس بلفظ: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وقال ابن عباس: وسكت عن الثالثة أو قال: فأنسيتها وأحمد في مسنده حديث (١٩٤٠) ١/ ٢٩٢ دار الكتب العلمية.

ـ والحميد في مصنفه حديث (٥٢٦) ١/ ٢٤٢ دار الكتب العلمية ط١ سنة ٨٨.

ـ ونصب الراية للزيلعي حديث (٦٠٧٦) ٣/ ٤٥٥.

ـ وعبد الرزاق في مصنفه حديث (٩٩٩٢) باب إجلاء اليهود من المدينة ٦/ ٥٧ وحديث رقم (١/ ١٩٣٧) ١٠/ ٣٦١.

ـ وكنز العمال حديث (١١٠١٧) ٤/ ٣٨٢.

ـ والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/ ٢٠٧.

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ١/ ١٦٩ برواية ابن عباس، وبرواية عمر بن الخطاب أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وفي رواية: حتى لا أدع بها إلا مسلماً ١/ ١٧٠.

(١) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص: ١٤٥ دار الفكر.

(٢) الزنار، والزنارة: ما على وسط المجوسي والنصراني وفي التهذيب: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه. انظر لسان العرب لابن منظور مادة زنر ٤/ ٣٣٠ دار صادر بيروت وقاموس المحيط للفيروزأبادي، مادة: زنر ص: ٣٦٢ دار الفكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ﴾[١]. أو غصب حرة مسلمة أو وطئها أو غرها، أو تطلع على عورات المسلمين، أو تجسس[٢] عليهم، أو ضر أحداً[٣] منهم، أو سبّ نبياً بما لم يكفر به، أو فعل شيئاً من الأشياء التي توجب تعزيره[٤] المذكورة على طريق المعاندة والاستخفاف كما إذا مر بالزنار فامتنع من عمله وفي الحاوي: اليهودي يتشبه بزي المسلمين. وأسقط حليته التي يعرف بها فليعاقب بالحبس والضرب ويطاف به في مواضع اليهود والنصارى ردعاً لأمثاله، وتحذيراً لهم بسبب ما حل به، وكتب ابن بطال[٥] إلى بعض قاضته أن يلزم اليهود والنصارى أن تكون زنانيرهم عريضة في وجه الثوب ليعرفوا بها، فمن ركب النهي بعده، ضرب عشرين سوطاً مجرداً، ثم صير إلى الحبس فإن عاد ضُرِبَ ضَرْباً مُوجِعاً وبُولِغَ فِيهِ وأطيل حبسه وإذا انتقض عهده بأحد هذه الأشياء وجب قتله إلى أن يسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[٦].

لأن الشرع لم يعاهدهم ولم يعطهم الذمة على هذا، ولا يجوز لنا أن نُعَاهِدهم عليه إلا أنه إذا أسلم، يسقط[٧] ذلك عنه لأن الإسلام «يَجُبُّ من[٨]

---

(١) سورة التوبة، آية: (٢٨) تمامها ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾.
(٢) في ب: أو تحسس.
(٣) في أ: أحد.
(٤) العزر: اللوم والتوبيخ وأصله التأديب، وهو التوقيف على الفرائض والأحكام، ويسمى الضرب دون تعزيز انظر: لسان العرب مادة: عَزَر ٤/ ٥٦١، ٥٦٢ دار صادر والقاموس المحيط مادة عزر ص: ٣٩٦ دار الفكر سنة ١٩٩٥.
(٥) هو: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي يعرف بابن اللحام أصلهم من قرطبة عالم حافظ محدث ألف شرحاً على البخاري، وكتاب في الزهد والرقائق كان متصوفاً توفي سنة ٤٤٤هـ. ترجم له في: سير النبلاء ١٨/ ٤٧ شجرة النور الزكية ص: ١١٥ رقم ٣١٦ ـ الفكر السامي ٢/ ٢٤٤ رقم (٥٦٦) العبر: ٣/ ٢١٩ ترتيب المدارك للقاضي عياض: ٨/ ١٦٠ ـ الديباج المذهب: ٢/ ١٠٥ شذرات الذهب: ٣/ ٢٨٣ الصلة: ٢/ ٣٩٤.
(٦) سورة التوبة، آية: (١٢). (٧) في ب: سقط.
(٨) أورده السيوطي في الجامع الصغير حديث (٣٠٦٤) ص: ١٨٣ برواية ابن سعد عن الزبير، وعن جبير بن مطعم. وأشار إليه بالضعف.

قبله» أي يقطعه لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[(١)] لكن لا يعرض عليه الإسلام بل إذا أسلم طائعاً من تلقاء نفسه فذلك توبته، ولا يسلم على[(٢)] الذمي[(٣)]، ومن سلم عليه غلطاً فليستغفر الله ولا شيء عليه ولا يستقبله، وإذا سلم الذمي عليك فقل له[(٤)] عليك[(٥)]، لأنهم لنا خونة، وغششة. وأما موالاتهم ومخالطتهم من غير ضرورة فممنوعة هي كبيرة من الكبائر تودي[(٦)] بصلة[(٧)] اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة ومهما قوي ذلك وتمكن من فاعله، كان موذناً بسلب الإيمان عنه نعوذ بالله من ذلك ومن فاعله. قال الله تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[(٨)]

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٩)].

دلت الآية الأولى على أن متوليهم ظالم وأنه لا يهدي، ومن لا يهدي مضل. والمضل خاسر كافر، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[(١٠)] ومنها أهل السنة والجماعة رضوان الله عليهم: أن الاهتداء هو الإيمان والضلال هو الكفر. ودلت الآية الثانية على أن متوليهم غير مؤمن بقوله: واتقوا الله أي في اجتناب ما نهى عنه من الموالات إن كنتم مؤمنين. فمفهوم دليل الخطاب إن لم تكونوا مؤمنين فلا تتقوه[(١١)] في اجتناب ما نهى عنه وهو الموالات.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[(١٢)].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة الأنفال: آية: (٣٨).
(٢) في ب: عليه.
(٣) ساقط من: ب.
(٤) إسقاط له من: ب.
(٥) في ب زيادة لأنه يدعو عليك.
(٦) في ب: توذن.
(٧) في ب: بقلة.
(٨) سورة المائدة، آية (٥١).
(٩) سورة المائدة، آية: (٥٧).
(١٠) سورة الأعراف، آية: (١٧٨).
(١١) في ب: فلا تتقوا.
(١٢) سورة الممتحنة، آية: (١).

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾(١) الآية(٢).

فمن وادهم فقد سلب عنه وصف كتابة الإيمان في قلبه ونفى عنه الإيمان بالتصريح الذي أخذ بالمفهوم من الآية السابقة.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٣).

دلت هذه الآية على لعن من اتصف بهذه الصفات التي منها عدم النهي عن المنكر. وموالات الذين كفروا، وأن موالاتهم تسخط الله تعالى وتوجب الخلود في العذاب، ثم نفي الإيمان تصريحاً عمن يتخذ الكفار أولياء بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية(٤).

وعلى الجملة فإذلالهم أمر واجب ومعاداتهم حكم لازب(٥).

قال عمر(٦) بن الخطاب رضي الله عنه: سموهم، ولا تكنوهم وأذلوهم ولا تظلموهم سيما اليهود منهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾(٧) الآية.

---

(١) سورة المجادلة، آية: (٢٢). (٢) كلمة الآية ساقط من أ. الزيادة من: ب.

(٣) سورة المائدة، الآيات: (٧٨ ـ ٨١). (٤) سورة المائدة، آية: (٨١).

(٥) لازب: لازم وثابت القاموس المحيط مدة لزب. ص: ١٢٤.

(٦) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى أمه حشمة بنت هاشم بن المغيرة الهاشمية كنَّاه الرسول ﷺ أبا حفص، وسماه الفاروق لتفريقه بين الحق والباطل، وفي إسلامه نزل قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾** سورة الأنفال، آية: (٦٥).

ترجم له في: الإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٧٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣/ ١١٤٤ ـ ١١٥٩ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: ٣/ ٦٤٢ ـ ٦٧٨ حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٨ ـ ٥٥ الرياض المستطابة ص: ١٥٣ ـ ١٦٠.

(٧) سورة المائدة، آية: (٨٢).

وفي هذا القدر[١] كفاية لمن له إيمان وهداية، لمن في بصيرته إيقان وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على سيدنا ومولانا[٢] محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

[ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هـ. وهو أغرب ما يطالع وفق الله الجميع بمنه وكرمه عامين][٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) في ب: الفصل.
(٢) إسقاط مولانا من: ب.
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.

مصادر ومراجع الرسالة

حرف الألف

١ ـ الأحكام السلطانية للفراء مطبعة مصطفى البابي الحبي سنة ١٣٥٧.

٢ ـ الأحكام السلطانية للماوردي دار الفكر بيروت.

٣ ـ الأدب المفرد للإمام البخاري دار الكتب العلمية بيروت.

٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر مكتبة نهضة مصر.

٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير دار الفكر.

٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الكتب العلمية بيروت.

٧ ـ أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط ١٩٧٩.

٨ ـ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لعباس المراكشي المطبعة الملكية الرباط ١٩٧٦ تحقيق عبد الوهاب بن منصور.

حرف الباء

٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير دار الفكر بيروت السنة ١٩٧٨/١٣٩٨.

١٠ ـ البستان في ذكر علماء تلمسان لابن مريم محمد المطبعة الثعالبية الجزائر ١٣٦٩هـ.

حرف الثاء

١١ ـ تاريخ الطبري دار الكتب العلمية ط٢ سنة ١٩٨٨.

١٢ ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض وزارة الأوقاف مطبعة ديسبريس تطوان.

١٣ ـ تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان لمحمد بن صالح الكناني مطبعة الوسط تونس ١٩٧٠.

١٤ ـ التنبيه والإشراف للمسعودي دار التراث بيروت ١٣٨٨/١٩٦٨.

١٥ ـ التمهيد لابن عبد البر مطبعة فضالة المحمدية. المغرب.

١٦ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر دار المسيرة بيروت ط٢ السنة ١٣٩٩/١٩٧٩.

حرف الجيم

١٧ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار الكتاب العربي ط٣ مصر السنة: ١٣٨٧/١٩٦٧.

١٨ ـ الجامع الصغير للسيوطي. دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٩٩٠.

حرف الحاء

١٩ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط٢ السنة ١٩٦٧/ ١٣٨٧.

حرف الخاء

٢٠ ـ الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم. المطبعة السلفية ط الرابعة السنة ١٣٩٢هـ.

حرف الدال

٢١ ـ درة الحجال لأبي العباس أحمد ابن القاضي المكناسي دار التراث.

٢٢ ـ دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني دار المغرب السنة ١٩٧٦/ ١٣٩٦.

٢٣ ـ الديباج المذهب لابن فرحون دار التراث القاهرة.

حرف الراء

٢٤ ـ الرحلة العياشية. طبعة حجرية.

٢٥ ـ الرياض المستطابة: ليحيى بن أبي بكر العامري اليمني، مؤسسة المعارف بيروت الطبعة الثانية السنة ١٤٠٩/ ١٩٨٨.

حرف الذال

٢٦ ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط الرابعة المكتب الإسلامي ١٩٨٧.

حرف السين

٢٧ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد جميل دار الفكر سنة ١٩٩٤.

٢٨ ـ سنن ابن ماجه دار الفكر بدون سنة تحقيق وترقيم الأبواب فؤاد عبد الباقي.

٢٩ ـ سنن الترمذي دار الفكر بيروت السنة ١٩٩٤.

٣٠ ـ سنن الدارمي دار الكتب العلمية بيروت.

٣١ ـ السنن الكبرى للبيهقي مطبعة حيدر أباد الدكن السنة ١٣٤٤هـ الهند.

٣٢ ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي مؤسسة الرسالة بدون سنة.

حرف الشين

٣٣ ـ شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، دار الفكر.

٣٤ ـ شذرات الذهب لابن العماد المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت.

٣٥ ـ شرح السنة للبغوي المكتب الإسلامي تحقيق شعيب الأرنؤوط.

٣٦ ـ شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي دار الكتب العلمية ط٣ السنة ١٤١٦/ ١٩٩٦ الجزء الرابع. بيروت.

حرف الصاد

٣٧ ـ صحيح البخاري مع فتح الباري دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة١٩٨٩.

٣٨ ـ صحيح مسلم مع شرح الإمام النووي دار الكتب العلمية ط١ سنة ١٩٩٥.

٣٩ ـ الصلة لابن بشكوال الدار المصرية السنة ١٩٦٦.

حرف الضاد

٤٠ ـ الضعفاء الكبير للعقيلي دار الكتب العلمية بيروت ط١.

حرف الفاء

٤١ ـ فهارس علماء المغرب لعبد الله المرابطي الترغي. مطبعة النجاح سنة ١٩٩٩.

٤٢ ـ الفكر السامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي دار الكتب العلمية ط١ السنة ١٤١٦/ ١٩٩٥ بيروت.

٤٣ ـ الفهرس العام للمخطوطات دار الكتب الوطنية تونس ١٩٩٤.

حرف القاف

٤٤ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي دار الفكر بيروت ١٩٩٥/ ١٤١٥.

حرف الكاف

٤٥ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٩٩٧.

٤٦ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة لعلي الهيثمي ط١ سنة ١٣٩٩/ ١٩٧٩.

٤٧ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمنتقى الهندي مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩/ ١٩٧٩.

حرف اللام

٤٨ ـ لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت.

٤٩ ـ لسان الميزان لابن حجر دار إحياء التراث العربي ط١ سنة ١٩٩٥/ ١٤١٦.

حرف النون

٥٠ ـ نشر المثاني للقادري تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ١٩٨٢/ ١٤٠٢.

٥١ ـ نصب الراية للزيلعي مؤسسة الريان الطبعة الأولى السنة ١٩٧٧ بيروت.

٥٢ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ط١ السنة ١٩٨٩ ليبيا.

حرف الميم

٥٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي دار الكتاب العربي بيروت ط٣. السنة ١٤٠٢/ ١٩٨٢.

٥٤ ـ مسند أحمد بن حنبل دار الكتب العلمية بيروت ط١، سنة ١٩٩٣.

٥٥ ـ مسند الحميدي دار الكتب العلمية بيروت ط١، سنة ١٩٨٨.

٥٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي المكتب الإسلامي ط٣ سنة ١٩٨٥.
٥٧ ـ مشكل الآثار للإمام الطحاوي ط١ دار صادر بيروت.
٥٨ ـ مصابيح السنة للبغوي دار المعرفة بيروت ط١ السنة ١٩٨٧.
٥٩ ـ مصنف عبد الرزاق. ط١ سنة ١٩٧٢ المكتب الإسلامي.
٦٠ ـ مصنف ابن أبي شيبة، ط١ مطبوعات الدار السلفية الهند ١٩٨١.
٦١ ـ المعجم الأوسط للطبراني. ط١ سنة ١٩٨٦.
٦٢ ـ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة مطبعة الترقي دمشق سنة ١٩٥٩.
٦٣ ـ معجم المطبوعات المغربية لإدريس القيطوني مطابع سلا سنة ١٩٨٨.
٦٤ ـ موسوعات أطراف الحديث لمحمد السعيد بن بسيوني زغلول.
٦٥ ـ عالم التراث بيروت دار الفكر ط١ من ١٩٨٩.
٦٦ ـ موسوعات أعلام المغرب دار الغرب الإسلامي ط١ ١٩٩٦ بيروت.
٦٧ ـ الموضوعات من الأحاديث المرفوعات لابن الجوزي ط١ السنة ١٩٩٧.
٦٨ ـ ميزان الاعتدال للذهبي دار المعرفة بيروت سنة ١٩٦٣.



فهرس المحتويات

الرسالة الأولى

مصباح الأرواح في أصول الفلاح

الرسالة الثانية

الإعلام بما أغفله الأعوام